

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى - الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الأولى

د. شذى الأسعد



الإثنوغرافيا: (Ethnography)

هي نمط من البحث النوعي، الذي يتضمن الانغماس في مجتمع أو منطقة معينة، لمراقبة سلوكهم وتفاعلاتهم عن قرب. تشير كلمة "إثنوغرافيا" أيضا إلى التقرير المكتوب للبحث الذي ينتجه عالم الإثنوغرافيا أو "الإثنوغرافي" بعد ذلك.

فكلمة إثنوغرافيا مشتقة من الأصل اليوناني "إثنوس" ويعني جماعة، وفيما بعد أصبح يعني ناس، أو شعب، أو أمة. و "غرافيا- graphy" وتعني الكتابة، وبالتالي علم الإثنوغرافيا هو علم تسجيل وكتابة ووصف الأعراق البشرية، والدراسات المعمقة للثقافة، أو جانب من جوانب هذه الثقافة.

كما أن الإثنوغرافيا هي طريقة بحثية نوعية تأتي من تخصص علم الإنسان "الأنثروبولوجيا".

الأنثروبولوجيا: (Anthropology)

التسمية مشتقة من أصل يوناني أيضا، "Anthropos" تعني الإنسان، و "Logos" وتعني العلم، أي علم الإنسان والحضارات والمجتمعات البشرية، وسلوكيات الإنسان وأعماله.

علاقة علم الإثنوغرافيا بعلوم الآثار الأنثروبولوجيا :

الإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا، فعندما قام الأوروبيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا وأستراليا وآسيا حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافتهم المادية المختلفة سرعان ما تبني الأنثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري ، أما في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج لمجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف



الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشعوب البسيطة التي درسها ووصفها الإثنوغرافيون . وهكذا فإن استخدام الإثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه.

وبالتالي نجد أن لعلم الإثنوغرافيا فائدة كبيرة في إيجاد تفسير منطقي في كثير من المسائل التي يعجز الآثاريون عن تفسيرها بسبب فقدان المخلفات المادية لشعب ما في المواقع الأثرية.

على صعيد آخر، نرى أن بعض الأنثروبولوجيين العرب يتفقون على أن مصطلح إثنوغرافيا يطلق على الدراسة التي تعتمد على وصف ثقافة ما في مجتمع معين وتعتمد على منهج البحث الوصفي أو منهج الوصف معتمدا على الملاحظة المباشرة والمشاركة أحيانا وبوجه عنايته بالثقافات الإنسانية والظواهر الاجتماعية بالوصف الدقيق. إذ كان من المسلمين العرب ابن بطوطة والأوروبيين كريستوف كولومبوس قد قاموا بذلك تلقائيا دون أن يقصدوا التأسيس لهذا العلم.

ظروف نشأة الإثنوغرافيا :

إذا ذهبنا الى ظروف نشأة هذا النوع من الدراسات فسوف نرى أن لعصر النهضة دورا جوهريا بحيث كانت فترة النقاها السياسية والإقتصادية والديمغرافية التي مرت بها أوروبا بعد أهوال حرب المائة سنة والطاعون الأسود، كل ذلك كان سببا في تنامي الاهتمام بوصف الأوضاع السائدة هناك ، بحيث تؤرخ بداياتها بشكل اصطلاحي - مع سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك عام 1453 ، وهذا ما تسبب في هرب متقفي المتوسط الشرقي نحو أوروبا الجنوبية، بالإضافة إلى ذلك تأثر الرجال والنساء المنقفيين باكتشافات البحارة بعد عام 1450 "هنري البحار" الأمير البرتغالي الذي مول أولى رحلات الاستكشاف (إيراسموس)، كما أن ايزابيلا ملكة إسبانيا في ذلك الوقت قد أولت ثقتها لكريستوف كولمبوس، بالإضافة إلى الملكة ايزابيلا ملكة بريطانيا التي أطلقت بلادها لفتح العالم .

اكتشافات تقنية قادمة من المتوسط الشرقي (البوصلة ، دفة السفينة، الشراع المثلث..)
أتاحت بناء نموذج جديد من السفن عرف باسم "كارافيل" وتميزت بقدرة كبيرة على مجابهة
الرياح العاتية. ساهمت كل هذه الاكتشافات في بلوغ الأوروبيين كل شعوب العالم وتمكنوا
من رسم الخرائط لشواطئها البحرية و مناطقها البرية التي مكنتهم من ملاقات شعوب مجهولة
وغريبة أثارت فضولهم واهتمامهم . فانطلق هؤلاء من جمع من التساؤلات تأتي على
رأسها: هل هؤلاء بشر ام حيوانات؟ هل لهم تكوين مماثل؟ أهم من سلالة آدم؟ وإذا كان
الجواب نعم ، فكيف تفرقوا هكذا وعلى أثر أية هجرات؟ كلها تساؤلات جوهرية انطلق منها
العديد من مؤسسي ورواد الإثنوغرافيا وأعدوا مادة إثنوغرافية وفيرة بجمع أكبر قدر من
المعلومات حول شعوب متفرقة ومختلفة في مناطق متباينة من العالم.

الجوانب التي تميز علم الإثنوغرافيا عن منهجية البحث:

هناك عدة جوانب تميز علم الإثنوغرافيا عن مناهج البحث، الفارق الأول هو أن الإثنوغرافيا
تستغرق فترات طويلة من الزمن، فقد يقضي الإثنوغرافيين سنة واحدة على الأقل يعيشون
بين أفراد الثقافة التي يدرسون بها، وتسمح هذه الفترة الطويلة من جمع البيانات للسكان
المحليين بفرصة التعرف والتعود على الإثنوغرافي، وهذا أيضاً يسمح للإثنوغرافي ببناء
علاقة مع السكان المحليين، وحتى اليوم مازال علماء الإثنوغرافيا يقضون أكبر وقت ممكن
في جمع البيانات، لكن ليس بالضرورة سنة كاملة.

الفارق الثاني: هو أن الإثنوغرافيا تعتمد على ملاحظة المشارك كوسيلة أساسية لجمع
البيانات، فعندما يصبح الإثنوغرافي منعزلاً تماماً في ثقافة شعب معين، فإنه لا يلاحظ
الظاهرة قيد الدراسة فحسب، إنما يصبح مشاركاً في الحياة اليومية، والهدف هو فهم ممارسة
أو مجموعة من الممارسات داخل هذه الثقافة.

فعلى سبيل المثال، لن يقوم إثنوغرافي يدرس الممارسات الدينية للثقافة بحضور الشعائر
الدينية فحسب، بل سيشارك فيها أيضاً، لأن هذا سيجلب له فهم الممارسات حقاً.

وأخيراً الفارق الثالث: في أن هذه الفترة التي يقضيها الإثنوغرافي في العيش مع ثقافة أخرى
تعتمد غالباً على طرق أخرى لجمع البيانات وذلك مثل الملاحظات الميدانية، والمقابلات،

والدراسات الاستقصائية، وهي عبارة عن سجلات يومية مكتوبة تصف الحياة اليومية والأحداث التي شاهدها الإثنوغرافي وشارك فيها، والملاحظات اليومية مفصلة وصفيًا بدرجة كافية حتى يتمكن شخص آخر من قرائتها ويشعر وكأنهم كانوا مع الإثنوغرافي.

وسائل البحث الإثنوغرافي:

(المراقبة المشاركة، الاستجواب، المخبر، الاستمارة، المترجم).

أولاً: المراقبة المشاركة:

لكي يفهم أو يقرأ الباحث المجتمع وثقافته، لا يكفي مراقبة نشاطات وممارسات الناس اليومية فقط، بل يجب تفهم منظور هؤلاء الناس إلى العالم حولهم. لأن هذا المنظور هو الذي يبرز ويعلل سلوكهم وممارساتهم... الخ.

ومهما قيل من تبريرات وشروح فليس من الضروري أن تكون كافية أو دقيقة الصحة لتفسير الممارسة أو السلوك الملحوظ لأن في الكثير من الأحيان يكون شرح أو إجابة المعلم متحيزة أو مشوهة نوعاً ما -- على سبيل المثال دراسة (مارغريت ميد) عن الثقافة السماوية في جزر السماوي في جنوب شرق آسيا. في دراستها وصفت (مارغريت) المجتمع السماوي كمجتمع منفتح ومتسامح بالنسبة للعلاقات الجنسية بناء على الروايات والأكايب التي لقنها إياها المراهقين السماويين. وإنما الحقيقة فهي على العكس من ذلك، ولكن الباحثة أخذت بهذه القصص الأحاديث لأنها كانت تتناسب مع نظريتها الفرضية عن المجتمعات البدائية وكان لديها رغبة بطرحها لإظهار الحياة البسيطة وغير المعقدة في جزر السماوي.

وعندما سئل هؤلاء المراهقين عن سبب كذبهم، قالوا أنهم أحسوا أن الباحثة (مارغريت) تبحث عن أجوبة مثل التي عرضوها عليها، ولذلك سعوا في إرضائها من خلال أجوبتهم.

هذا المثال يوضح صعوبة العمل الإثنوغرافي، وضرورة الموضوعية في جمع المعلومات عبر المراقبة، أي الدراسة الدقيقة لهذه المعلومات لكي ندرس وتنفهم الثقافة ينبغي على الإثنوغرافي أن يسجل ويجمع في البداية كل ما يلاحظه من أفكار وسلوك ونشاطات.



بالتزامن مع عملية الدراسة والتحليل والبحث عن النماذج في هذا السلوك المرتبط بهذا المجتمع أو الثقافة.

إن عملية جمع المعلومات والملاحظات والمراقبات تحتاج إلى مهارات مختصة، مثل القدرة على كتابة الملاحظات بسرعة وبدون إثارة الانتباه، استخدام الكاميرات وغيرها من أدوات التسجيل.

هناك أيضا مشكلات اجتماعية يجب أخذها بعين الاعتبار، مثل مواجهة اعتراضات على تصوير أو تسجيل بعض الأشخاص أو الشعائر أو الطقوس الدينية أو بعض الممارسات اليومية الخاصة، لأنها تمس أو تعارض التقاليد أو العادات المحلية، أو لأنها سرية للغاية ولا يريدون مشاركة الناس بها والتعرف عليها.

وبما أن معظم الناس والمجتمعات تضع حدود لما يسمح بروايته والمشاركة به من قبل الغرباء، يجب على العالم الإثنوغرافي، وكذلك الأنثروبولوجي أن يتفهم هذه الأمور ويحس بها، وأن يحاول بقدر الإمكان ألا يزجج الجماعة التي يحاول دراستها، وإلا قد يتعرض البحث إلى الفشل. على سبيل المثال: فإن مجتمعات الأميش في الولايات المتحدة الأمريكية لهم قوانين وتقاليد وأعراف خاصة جداً، ولا يسمح بالتعرف على بعض طقوسهم أو مشاهدتها والمشاركة بها. وقد أصبحت هذه الجماعات مع الوقت، أكثر حرصاً على مشاركة الأعراب بأمورهم الخاصة، وهناك نوع من فقدان الثقة بينهم وبين علماء الإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا. وذلك بهدف المحافظة على طقوس هذه المجموعة وتقاليدها وحمايتها قدر الإمكان من الضياع الاندثار.

ثانياً: الاستجواب:

الجزء الأكبر من البحث الإثنوغرافي يعتمد على استجواب الناس عن نشاطاتهم اليومية، ففي العادة تبدأ عملية الاستجواب بأسئلة سطحية، ومجرد ما تصبح لدينا فكرة عامة عن المجتمع المدروس تبدأ عملية التعمق بالأسئلة والبحث في تفاصيله وخصوصياته.



ولكي تنجح عملية الاستجواب، لا يكفي في الكثير من الأحيان ... طرح السؤال وتوقع الإجابة أن تكون كاملة وجاهزة فورا ويكل بساطة مفهومة، وسبب ذلك أنه لا ينبغي على الباحث الإثنوغرافي أن يعرف كيفية طرح الأسئلة، فكل مجتمع طريقة خاصة لطرح الأسئلة، وأسلوب خاص للإجابة عليها، تعتمد على نوع السؤال، ووضع السائل والمسؤول، وعلى سبيل المثال فهناك مواضيع قد لا يجوز طرحها أمام النساء والأطفال أو لربما مواضيع إذا سئل منها بشكل مباشر قد تستدرج إجابة كاذبة وفي بعض الأحيان تثير الاستياء أو الغضب من السائل لكون الموضوع معيب أو مخزي.

ثالثاً: المخبر:

الميدان هو مخبر عالم الأنثربولوجيا الثقافية، يذهب الأنثربولوجي وكذلك الإثنوغرافي للقيام بالبحث الميداني إلى موطن الشعب الذي اختاره موضوعاً للدراسة، فيستمع إلى حديثهم، ويزور بيوتهم، ويحضر طقوسهم، ويلاحظ سلوكهم العادي، ويسألهم عن تقاليدهم، حتى تصبح لديه فكرة شاملة عن ثقافتهم، أو يحلل جانباً خاصاً من جوانبها. وإذا أراد الإثنوغرافي الحصول على معرفة كاملة بالثقافة، أصبح استخدام المخبرين ضرورياً، لأن النزعة في الحقول لا يمكن أن تمتد إلى مالا نهائية، ولن يقع خلال مدة البحث الميداني كل الحوادث أو الوقائع التي يضمها سجل ثقافة ما. فقد لا يقع في الجماعات الصغيرة حادث ولادة أو زواج أو ماتم خلال إقامة الإثنوغرافي، أو قد لا يسمح له بمشاهدته إذا وقع. ومع ذلك يجب أن تتضمن دراسة أي ثقافة من الثقافات وصفاً لمثل هذه الطقوس الهامة والظروف التي يطرأ عليها تبدلات مستمرة، لذلك يتم التغلب على هذه الصعوبات باستخدام مخبر، وأفضل طريقة للاستفادة من المخبر في مناقشة الحوادث التي شاهدها الإثنوغرافي ولا سيما تلك التي شاهدها الإثنوغرافي والأنثربولوجي معاً. ويمكن مع الزمن الاعتماد على المخبر للوصول إلى وصف للحوادث النموذجية التي لم يشاهدها الإثنوغرافي في حياة الجماعة، كالحوادث التي تقع في الشتاء مثلاً بينما يقوم الإثنوغرافي بأبحاثه الميدانية في الصيف، ويصبح العمل تعاوناً تقريباً عندما تصبح الرابطة بين الإثنوغرافي والمخبر علاقة وثيقة.

رابعاً: الاستمارة:

قامت فكرة إعداد استمارة شاملة تغطي كل جوانب الثقافة المادية وغير المادية، على الإدعاء بأن جميع ثقافات الشعوب البدائية مهددة بالزوال، وعلينا أن نحصل على أكثر مما يمكن من المعلومات عنها خلال وجودها، وبأنه لا يوجد العدد الكافي من الإثنوغرافيين والأنثروبولوجيين المتدربين للقيام بهذا العمل، لذا يجب اللجوء إلى أشخاص غير مدربين مثل ضباط المستعمرات، والتجار، والساحبين، بأكثر مما يمكن من الفائدة تؤدي هذه الطريقة إذا استعملها ملاحظ غير مؤهل للبحث الإثنوغرافي والأنثروبولوجي إلى جمع كثير من الوقائع، ولكنها لا تعطي الكثير من المعلومات، سواء عن كيفية ارتباط هذه الوقائع ببعضها في الكل الذي يولف الثقافة، أو عن العنصر الإنساني في الحياة اليومية لدى شعب ما. ولكنها تساعد الباحثين المختصين في التحقق من النقاط التي قد يكونوا أهملوها سابقا. وهذا ما دعا مجموعة من الأخصائيين إلى وصفها بأنها مذكرة يدوية للإثنوغرافي والأنثروبولوجي الذي يقوم ببحث ميداني.

خامساً: المترجم:

إذا كان الإثنوغرافي لا يتحدث لغة المجتمع الذي يقوم بدراسته، يتوجب عليه استخدام مترجم، ولكن يؤدي استخدام مترجم إلى مشاكل عديدة، إذ يجب على الإثنوغرافي في أن يكسبه لجانبه، ويجب ألا يقتصر المترجم على فهم موضوع البحث بل أن يكون متحمسا لعمله. والترجمة في أحسن الحالات عمل صعب يجب الانتباه فيه بوجه خاص إلى نقل الأسئلة والأجوبة بكل وضوح ودقة، وقد يصبح المترجم مخبرا ممتازا، ويتوسع غالبا في الجواب وقد يعطي من تلقاء نفسه معلومات لها دلالة خاصة. ومن الضروري استخدام عدة مترجمين، مستقلا كل منهم عن الآخر للتأكد بشكل أضمن من صحة المعلومات المنقولة، وللحصول على فكرة عن أنواع العقائد والسلوك في ثقافة ما.

يستخدم الإثنوغرافي ميدانيا أي وسيلة لغوية في متناوله فيتكلم لهجة هجينة إذا وجدت، وفي نفس الوقت يحاول أن يتعلم ويتمكن من اللغة المحلية إلى أكبر درجة ممكنة، وهذا يعني عدم استخدام مترجمين، لأنهم قد يساعدون الإثنوغرافي في عمله. إن معرفة كلمة أساسية من اللغة المحلية يمكن أن تكون وسيلة للتحقق من صلاحية عمل المترجم.







جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الآثار
العام الدراسي 2021-2022
السنة الأولى -- الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الثانية

د. شذى الأسعد



حضارة المايا

تاريخها، وشعبها، وكيف اختفت وماذا تبقى منها

شعب المايا: هم من السكان الأصليين للمكسيك، وأمريكا الوسطى الذين استوطنوا بشكل متواصل الأراضي التي تضم المناطق المعاصرة المعروفة بولاية (يوكاتان) جنوب شرق المكسيك، و(كامبينشي) و(تاباسكو) و(تشياباس) في المكسيك، وصولاً إلى الجنوب عبر غواتيمالا، والسلفادور، وهندوراس.

تسمية حضارة المايا: تأتي تسمية المايا من مدينة مايبان القديمة في ولاية يوكاتان، وهي آخر عاصمة لسلالة المايا في فترة ما بعد الكلاسيكية (ما بين 900 ميلادي حتى الغزو الإسباني في أوائل القرن السادس عشر).

يشير شعب المايا إلى أنفسهم من خلال الروابط العرقية واللغوية مثل شعب الكيش في الجنوب، أو شعب اليوكاتيك في الشمال. (على الرغم من وجود العديد من الشعوب الأخرى).

أثارت حضارة المايا الغامضة اهتمام العالم منذ إعادة اكتشافها في أربعينيات القرن التاسع عشر على يد (جون لويد ستيفنز) و(فريدريك كاثروود)، ولكن في الواقع، فإن الكثير مما يتعلق بتلك الثقافة ليس بهذا الغموض عند فهمه كفاية. وعلى عكس المعتقد العام، لم تنقرض حضارة المايا بالكامل، إذ لا يزال أحفاد الأشخاص الذين بنوا مدنها العظيمة موجودين على نفس الأراضي التي كان أسلافهم يعيشون فيها وهم ما زالوا يواصلون ممارستهم القديمة، أحياناً في شكلها المعدل، ويتبعون تقريباً نفس الطقوس التي سيتعرف عليها أسلافه منذ ألف عام.

أصول المايا:

يُقسم تاريخ أمريكا الوسطى عادة إلى فترات محددة تكشف مجتمعة عن تطور الثقافة، وتطور ظهور حضارة المايا وثقافتها. وهي:

• **العصر القديم _ 7000-2000 قبل الميلاد:** خلال هذا الوقت، بدأت جماعات الصيادين في زراعة المفاصل مثل الذرة والفاصولياء والخضروات والنباتات الأخرى، وانتشر تدهيب الحيوانات أبرزها الكلاب والديوك الرومية. وتم إنشاء أوائل القرى في المنطقة خلال هذه الفترة، كما ضمت المواقع المقدسة والمعابد المخصصة لمختلف الآلهة. يعود تاريخ بعض القرى إلى 2000-1500 قبل الميلاد.

• **فترة الأولمك _ 1500-200 قبل الميلاد:** تُعرف هذه الحقبة أيضاً باسم فترة ما قبل الكلاسيكية، أو الفترة التكوينية عندما ازدهرت حضارة الأولمك، وهي أقدم ثقافة في أمريكا الوسطى. واستقر شعب الأولمك على طول خليج المكسيك، كما بدأوا في بناء مدن كبيرة من الحجر والطوب. تميزت هذه الحقبة أيضاً بمهارة متطورة للغاية في النحت تشير إليها منحوتات رؤوس الأولمك الضخمة.

أدى الحجم والنطاق الهائل لأنقاض حضارة الأولمك (أول حضارة كبرى في غواتيمالا والمكسيك) إلى ولادة فكرة أن الأرض كانت مأهولة من قبل عساققة. على الرغم من أن لا أحد يعرف من أين جاء الأولمك، ولا ما حدث لهم، إلا أنهم وضعوا الأساس لجميع الحضارات المستقبلية اللاحقة في أمريكا الوسطى.

• **فترة الزابوتيك _ 600 قبل الميلاد - 800 ميلادي:** تأثر الزابوتيك بشكل واضح بحضارة الأولمك (أو ربما ارتبطوا بهم)، انتشروا في المنطقة المحيطة بولاية أوامسكا الحديثة، تم تأسيس الموقع الحضري الثقافي المعروف الآن باسم (مونتي ألبن)، ومن خلالهم انتشرت بعض أهم العناصر الثقافية في المنطقة مثل "الكتابة" و"الرياضيات" و"علم الفلك" و"استخدام التقويم" كل ذلك سيأخذه المايا ويحسنوه.



• فترة تيوتيهواكان _ 200- 900 ميلادي: خلال هذه الحقبة، نمت مدينة تيوتيهواكان العريقة من قرية صغيرة إلى مدينة ذات حجم وتأثير هائلين في وقت مبكر، كما تشير الدلائل الأثرية إلى أن هذه المدينة كانت مركزاً دينياً مهماً مكرساً لعبادة الإلهة الأم العظيمة وزوجها الثعبان ذي اللون الأزرق. كان الإله الثعبان هو الإله الأكثر شعبية بين المايا. مثل العديد من المدن التي باتت الآن في حالة خراب في أمريكا الجنوبية، تخطى السكان عن مدينة تيوتيهواكان في وقت لاحق حوالي 900 ميلادي.

• فترة (إل- تاخين) 250-900 ميلادي: تُعرف هذه الفترة أيضاً باسم الفترة الكلاسيكية في تاريخ أمريكا الوسطى وشعوب المايا. يشير اسم (إل تاخين) إلى مجمع المدينة الكبير على خليج المكسيك، والذي تم اعتباره واحد من أهم المواقع في أمريكا الوسطى. خلال هذه الفترة، ظهرت المراكز الحضرية الكبرى في تلك الأرض وبلغ عدد المايا الملايين. من هم الأشخاص الذين سكنوا (إل تاخين) على وجه التحديد هو أمر لا يزال مجهولاً، حيث تواجد هناك أكثر من خمسين مجموعة عرقية مختلفة، إلا أن الهيمنة على المدينة قد نُسبت إلى كل من المايا والمكسيكيين.

• فترة المايا الكلاسيكية 250- 950 ميلادي: هذا هو العصر الذي شهد توطيد سلطة المدن الكبرى، وفيها يمكن رؤية التأثيرات الثقافية المباشرة والمستمدة من شعوب "الأولميك" و"الزابوتيك"، والقيم الثقافية المستمدة من بعض المدن مثل "تيوتيهواكان" و "إل تاخين" ولكن في أماكن أخرى يبدو أن ثقافة جديدة تماماً قد ظهرت، مثل مدينة "تشيشتن إيتزا" حيث فبالرغم من الأدلة الكثيرة على الاقتراض والتأثر الثقافي، إلا أنها امتلكت أسلوباً مختلفاً تماماً في الفن والعمارة.

كانت هذه الفترة هي ذروة حضارة المايا التي اتقنوا فيها "الرياضيات"، "علم الفلك" و"الهندسة المعمارية" و"الفنون البصرية" وأيضاً صقلوا "التقويم" وحسنوه. أقدم تاريخ تم تسجيله في هذا العصر هو على اللوح التذكاري في مدينة تيكال (292 ميلادي) وآخرها من نقش على لوح تذكاري في موقع تونينا (909 ميلادي). امتدت مدن حضارة المايا من مدينة بيسيت في الشمال وصولاً إلى هندوراس الحديثة في الجنوب.



• فترة ما بعد الكلاسيكية (954-1524 ميلادي): في هذا الوقت تم التخلي عن مدن المايا العظمى. وحتى وقت قريب، لم يتم تحديد أي تفسير للنزوح الجماعي من المدن إلى المناطق الريفية البعيدة، ولكن تم اقتراح بعض الفرضيات التي تدور على أن تغير المناخ وزيادة عدد السكان من بين الاحتمالات الواردة. في ذلك الوقت استولت "تولتك"، وهي قبيلة جديدة في المنطقة، على المراكز الحضرية الشاغرة وأعدت إعمارها.

حينها ارتقت كل من مدينتي "تولا" و"تشيتشن إيتزا" لتصبحا مدينتين مهيمنتين في المنطقة. أما المفهوم الشائع على نطاق واسع بأن المايا طردوا من مدنها من قبل الغزو الإسباني، فهو مفهوم خاطئ لأن المدن كانت بالفعل شاغرة بحلول وقت الغزو الإسباني. (في الواقع، لم يكن لدى الغزاة الإسبان أي فكرة عن أن السكان الأصليين الذين وجدوا في المنطقة كانوا هم من بنوا تلك التجمعات المدنية الهائلة).

ثقافة المايا: أنتجت ازدهار حضارة المايا في الفترة الكلاسيكية تقدماً ثقافياً لا يُصدق عُرفوا به عالمياً. كان المايا يؤمنون جداً بالطبيعة الدورية للحياة أي بنظرهم: (لم "يولد" أي شيء على الإطلاق ولم "يمت" شيء قط)، وقد ألهم هذا الاعتقاد وجهة نظرهم عن الآلهة والكون. بدورهم، شجعت وجهات نظرهم عن الكون جهودهم الحثيثة والفريدة في الهندسة المعمارية والرياضيات وعلم الفلك.

تحت الأرض وجد العالم المظلم المعروف بـ "شيبالا"، ويُترجم إلى «مكان الخوف» حيث نمت شجرة الحياة العظيمة التي شقت الأرض وشهقت إلى السماء، عبر ثلاثة عشر مستوى للوصول إلى جنة "تاموانشان" أي (السماء الضبابية) موطن الأزهار الجميلة. ومع ذلك، في اعتقاد المايا، فإن المرء لا يموت ولا يذهب إلى "الجنة" أو "الجحيم"، بل يشرع في رحلة نحو تاموانشان.

تبدأ هذه الرحلة في العالم السفلي المظلم عالم شيبالا حيث سكته الأصليون الذين يعيشون هناك أكثر ميلاً لخضاع الأرواح وتدميرها من مساعدتها وصولاً إلى النعيم، كانت الطرق الوحيدة التي يمكن للروح من خلالها تجاوز "شيبالا" والسفر على



الفور إلى "تاموانشان" هي الموت أثناء الولادة، أو كقربان، أو في الحرب، أو في ملعب الكرة، أو عن طريق الانتحار، إذ كان لدى المايا إلهة انتحار خلصة تسمى (إيزتابل) صوّرت كجثة امرأة متعفنة معلقة بحبل في السماء. بمجرد وصول المرء إلى تاموانشان، سيلقى هناك السعادة الأبدية، ولكن يجب ملاحظة أن هذه الجنة لم يُعتقد أنها موجودة في السماء ولكن على الأرض.

بعد الصعود عبر المستويات الثلاثة عشر، لن يعيش المرء في الهواء، بل على جبل روحاني على هذا الكوكب أيضاً. بسبب هذه الرؤية الدورية، لم يعتقد المايا أن هناك أي خطأ في التضحية البشرية. هؤلاء الأشخاص الذين قُدموا للآلهة لم "يموتوا" بل انتقلوا ببساطة لحياة أخرى. أثر هذا الاعتقاد على كل جانب من جوانب حضارة المايا وجرى تنفيذ الطقوس المقدسة بانتظام في الكهوف، التي تستدعي ظلام شيبالا وعلى التلال أو المعابد العالية التي ترمز إلى مرتفعات تاموانشان.

- الأهرامات العظيمة التي تميز العديد من مواقع المايا هي نسخ طبق الأصل للجبل العظيم المخصص للآلهة والمعروف باسم "ويتزوب. Witzob".
- أما تقويم المايا الشهير فهو انعكاس الطبيعة الدورية للوجود البشري وكيف تقوم تجسّدات العديد من الآلهة والإلهات بوظيفتها في مساعدة الناس خلال دورات الحياة أو إعاقتها.

الكتاب الديني العظيم لشعب المايا، كتاب "البوبولفو"، يروي بالضبط هذه القصة عن الطبيعة الدورية للحياة من خلال قصة التوائم البطل وانتصارهم على قوى الفوضى والظلام التي يرمز إليها أسياد شيبالا. واللعبة التي اشتهر التوائم بلعبها، هي لعبة " بوك أتوك"، تخدم نفس الغرض. كانت بوك أتوك هي اللعبة الأكثر شعبية بين المايا، بل اعتبرت أكثر من مجرد لعبة لأنها ترمز إلى النضال البشري وتعكس الطريقة التي ينظر بها شعب المايا إلى الوجود. فريقان متنافسان من سبعة رجال يراجع كل منهما الآخر في ملعب كرة ويحاولان تسجيل الأهداف بكرة مطاطية صغيرة من خلال طوق عمودي مثبت على الحائط (أحياناً يصل ارتفاعه إلى 6 أمتار في الهواء، وأحياناً أعلى) أثناء الدفاع عن مرماه. ما يجعل اللعبة أكثر إثارة للإعجاب وصعوبة



هو أن اللاعب لا يستطيع استخدام اليدين أو القدمين، فقط الوركين والكتفين والرأس والركبتين.

كتب الأسقف الإسباني (دييغو دي لاندأ) أن مشاهدة مباراة "بوك أتوك" كانت أشبه بمشاهدة قصف البرق، إذ تحرك اللاعبون بسرعة ورشاقة كبيرة. ولطالما ساد الاعتقاد بأن الفريق الخاسر (أو قائد الفريق الخاسر) سيقتل في نهاية المباراة، لكن التطورات الأخيرة في فك رموز المايا، إلى جانب الأدلة الأثرية، تشير إلى أنه ربما كان الفريق الفائز أو قائده هو من سينال شرف الموت السريع والانتقال الفوري إلى الجنة. إذ يُعتقد أن اللعبة كانت رمزية، ليس فقط لتجسيد انتصار التوائم البطل على الظلام، ولكن لطبيعة الحياة الدورية.

أيًا كان الفريق الذي تم اختياره للموت، وتحت أي ظروف، كانت لعبة الكرة ذات مغزى عميق للمايا باعتبارها أكثر من مجرد رياضة للتسلية. وحتى الآن تظهر المزيد من المعلومات حول تفاصيل اللعبة، وحياة المايا القديمة بشكل عام، مع اكتشاف المزيد والمزيد من البقايا وتفسيرها.

الكتابة الهيروغليفية لحضارة المايا:

تنبع الصعوبة في فك رموز الهيروغليفية لحضارة المايا من تصرفات نفس الرجل الذي احتفظ، عن غير قصد، بالكثير مما نعرفه عن حضارة المايا، ونحن هنا نتكلم عن الأسقف (دييغو دي لاندأ). الذي قام بسهمة طرد الوثنية من المايا المتحولين حديثًا إلى المسيحية.

كان مفهوم الإله الذي يموت ويعود إلى الحياة مألوفًا جدًا لدى شعوب المايا، ويبدو أنهم قبلوا قصة يسوع المسيح وقيامته بسهولة. ومع ذلك، ظهر فصيلًا تخريبيا ينمو بين المايا بدأ يغويهم بالعودة إلى عبادة الأصنام، وبعد أن فشلوا في سحق هذا التمرد المتحفظ من خلال سبل الصلاة والوعظ، اختاروا طريقة أخرى أكثر مباشرة.

في 12 تموز 1562، في كنيسة سانتي، حرق أكثر من أربعين كتابًا من مخطوطات المايا وأكثر من 20000 صورة ولوح. نجت ثلاثة كتب فقط من كتب المايا في حريق سانتي وهي "مخطوطة مدريد"، و"مخطوطة دريسدن"، و"مخطوطة باريس" (سميت بهذا الاسم نسبة للمدن التي أعيد العثور عليها فيها بعد سنوات عديدة من إعادتها من يوكاتان) والتي زودت العلماء بقدر كبير من المعلومات حول معتقدات المايا، وخاصة عن تقويمهم الشهير. أنشئت هذه المخطوطات من قبل الكتبة الذين قاموا بملاحظات دقيقة في علم الفلك (مخطوطة دريسدن وحدها تخصصت صفحات لحساب ارتفاع ومواقع كوكب الزهرة بدقة)، وتعرض تفسيراتهم للكواكب والفصول بدقة لا مثيل لها في الحضارات القديمة الأخرى.

تقويم المايا :

يوجد تقويمان يعملان في وقت واحد في نظام المايا: "هاب Haab"، وهو تقويم مدني يتألف من 365 يومًا، ومقسم لـ 18 شهرًا، كل شهر يتألف من 20 يومًا لكل منها، وتقويم "تزلوكي Tzolkin"، أو التقويم المقدس، مدته 260 يومًا مقسمة إلى ثلاث مجموعات من الأشهر المكونة من 20 يوم. يعمل التقويمان معًا، مثل التروس المتشابكة في آلة، لإنشاء ما يُعرف باسم «سورة التقويم» ولكن لا يمكن حساب التواريخ المستقبلية لأكثر من 52 يومًا.

لحسابات الأطول، ابتكر المايا ما يُعرف باسم التقويم الطويل، وهذا ما جذب الكثير من الاهتمام الدولي في السنوات الأخيرة فيما يتعلق بنهاية العالم في 21 كانون الأول 2012. نظرًا لأن تقويم العد الطويل يبدأ في 11 آب 3114 قبل الميلاد، فإنه يدخل في دورته التالية (المعروفة باسم بالكتون) في 21 كانون الأول 2012 ميلادي.

لا يوجد شيء في كتابات المايا المتبقية يشير إلى أي نوع من الكوارث المصاحبة لهذا التحول. وفي 10 أيار 2012، تم الإبلاغ عن اكتشاف لعالم الآثار بجامعة بوسطن (ويليام ساتورنو) وطالب الجامعة (ماكسويل تشامبرلين)، أثناء التنقيب في

موقع المايا في غواتيمالا، حيث اكتشفوا غرفة بحجم 6×6 أقدام يعود تاريخها إلى 800 ميلادي والتي يبدو بشكل قاطع أنها كانت ورشة عمل تقويمية لكتبة المايا.

تُظهر اللوحات والنقوش على جدران الغرفة تقويم يمتد إلى ما بعد عام 2012، وأنه كان من المعروف أن الباكثون (الدورة) المستقبلية جارية بالفعل في الرقص الدوري العظيم للزمن. وفقًا لـ "ديفيد ستيوارت"، الخبير في كتابات المايا الهيروغليفية بجامعة تكساس في أوستن، "كان الباكثون 14 قادمًا والباكثون 15 والباكثون 16... تقويم المايا سيستمر على مدى السنوات القادمة.

كيف ولماذا انتهت حضارة المايا:

لحالما كان أحد أكثر الألغاز إثارة للاهتمام في التاريخ القديم هو لماذا انهارت حضارة المايا فجأة، وهي حضارة معقدة بشكل ملحوظ تألفت من أكثر من 19 مليون شخص، في وقت ما خلال القرنين الثامن أو التاسع؟ على الرغم من أن شعب المايا لم يختلف تمامًا كما ذكرنا إلا أن عشرات المناطق الحضرية الأسلمية في الأراضي المنخفضة لشبه جزيرة يوكاتان، مثل "تيكال"، انتقلت من كونها مدن صاخبة مليئة بالحياة إلى أطلال مهجورة على مدار ما يقرب من مائة عام (في القرن العاشر).

اقترح العلماء والأشخاص المهتمون عددًا لا يحصى من النظريات التي تفسر ذلك التحول العجيب، بدءًا مما هو معقول (الصيد الجائر، الحروب، وتمرد الفلاحين) إلى ما هو غير منطقي (الغزو الفضائي، والقوى الخارقة للطبيعة). في كتابه «الانهيار» الصادر عام 2005، طرح (جاريث دايموند) نوعًا مختلفًا من النظريات التي قالت أن الجفاف المطول، المتفاقم بسبب إزالة الغابات غير المدروسة، أجبر سكان المايا على التخلي عن مدنهم. جرى توثيق هذه الفرضية بالأدلة الأثرية والبيانات البيئية والنتائج المنشورة في دراستين بعد 7 سنوات.

الدراسة الأولى قام بها قام باحثون من جامعة ولاية أريزونا بتحليل البيانات الأثرية من جميع أنحاء يوكاتان للوصول إلى فهم أفضل للظروف البيئية وقت التخلي عن المنطقة. حيث وجدوا أن الانخفاض الحاد في هطول الأمطار اقترن بارتفاع معدل



إزالة الأشجار، إذ قام شعب المايا بحرق وتقطيع المزيد والمزيد من الغابات لتحويلها للأراضي زراعية. ومن المثير للاهتمام، أنهم احتاجوا أيضاً إلى كميات هائلة من الخشب لإشعال النار لشواء الحصص الجيري من أجل منشئاتهم، يقدر الخبراء أن الأمر احتاج 20 شجرة لإنتاج متر مربع واحد من حجارة البناء.

الدراسة الثانية، التي نشرها باحثون من جامعة كولومبيا، قامت باختبار البيانات المجموعة على أساس هذه الفرضيات. فباستخدام المسجلات والقياسات السكانية من الأراضي الحرجية التي جرى قطع أشجارها في المنطقة، قاموا ببناء نموذج حاسوبي يحاكي إزالة الغابات في يوكاتان وأجروا عمليات محاكاة لمعرفة كيفية تأثير ذلك على هطول الأمطار.

نظراً لأن الأرض التي تم قص أشجارها تمتص إشعاعاً شمسياً أقل، فإن كمية أقل من المياه تتبخر من سطحها، مما يجعل السحب وهطول الأمطار أكثر ندرة. ونتيجة لذلك، أدت الإزالة السريعة للغابات إلى تفاقم الجفاف الشديد بالفعل، أدت إزالة الغابات إلى خفض هطول الأمطار بنسبة 5 إلى 15 في المائة وكانت مسؤولة عن 60 في المائة من إجمالي الجفاف الذي حدث على مدار قرن من الزمان، عندما انتهت حضارة المايا.

في الوقت الذي باتت فيه الكثافة السكانية غير مسبوقة، كان من المحتمل أن يكون هذا المزيج من العوامل كارثياً. إذ منيت المحاصيل بخسائر كبيرة، خاصة أن الجفاف حدث بشكل مفرط وغير متوقع خلال موسم النمو الصيفي. ومن قبيل الصدفة، تحولت التجارة من الطرق البرية، التي عبرت قلب أراضيهم المنخفضة، إلى الرحلات البحرية، نظراً لأن النخبة والأثرياء اعتمدوا إلى حد كبير على هذه التجارة. سجنوا إلى جانب مع فوائض المحاصيل السنوية. لبناء الثروة، فقد استنزفت الكثير من قوتهم مع الوقت. أجبر هذا الفلاحين والحرفيين على اتخاذ خيار حاسم لا مفاضل منه للهروب من الجوع، إلا وهو التخلي عن الأراضي المنخفضة والانتقال لمكان آخر. والنتيجة هي الآثار الباقية التي ما زالت تمتد إلى يومنا هذا.



المأيا اليوم :

في العصر الحديث، لا يزال شعب المأيا يزرعون نفس الأراضي ويسافرون في نفس الأنهار كما فعل أسلافهم من الشمال في ولاية يوكاتان. الادعاء بأن شعب المأيا قد اختلفوا بالكامل بطريقة ماء لمجرد العثور على منهم مهجورة، ليس فقط ادعاء غير دقيق ولكنه مهين لأكثر من ستة ملايين الأحياء من المأيا الذين يواصلون تقاليد أسلافهم.

على الرغم من أن المنطقة تحولت للمسيحية بعد الغزو، إلا أن التقاليد القديمة لا تزال ترى في مزيج بين الكاثوليكية الأوروبية وتصورات المأيا. وبالمناسبة للمأيا الذين يعيشون اليوم، فهم لم ينسوا أي شيء منها ودورة الحياة تستمر بالنسبة لهم.



جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الآثار
العام الدراسي 2021-2022
السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الثالثة

د. شذى الأسعد



الأميش

الأميش: بالإنجليزية **Amish** ، وهي طائفة مسيحية نشأت في العصور الوسطى، ويعود ظهور هذه الطائفة إلى حركة الإصلاح الديني، التي قادها رجل الدين السويسري، "جيكوب أمان"، الذي عاش في الجزء الألماني من سويسرا، في القرن السابع عشر الميلادي، وكان مؤمناً بالتعميد المسيحي بعد بلوغ الثامنة عشرة من العمر، واسم هذه الطائفة مشتق من اسم عائلته باللغة الألمانية "أميش". وبسبب الاضطهاد السياسي والديني لاتباعه بعد وفاته، اضطر الكثير منهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد، وتحديداً إلى منطقة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وبسبب التسامح الديني الذي ساد في القرون التالية، انتشر الأمشيون في العديد من الولايات الشمالية الأمريكية، وفي ثلاث مقاطعات كنديّة. والأميش طائفة مسيحية سلفية، متشددة في تفسيرها للإنجيل والتعاليم الكنسية، لكنها طائفة مسالمة جداً، وتعفو عمن يؤذيها أو يسيء لأفرادها، إلا أنها تفضل الانعزال عن الشعب الكندي أو الأمريكي تماماً، ولا يشرب الأميشي الخمر، ولا يستمع للموسيقى، ولا يرقص، كما أنه لا يملك بطاقات شخصية أو رخصة قيادة سيارة، ولا يوجد له قيد في السجلات المدنية، ولا يلحق القوم أطفالهم بالمدارس الحكومية أو الجامعات، ولا يقبلون بالمعونات الحكومية، ولا يترشحون للانتخابات، ولا ينتخبون، وقد يدفعون الضرائب لكنهم لا يقبلون أخذ أي راتب تقاعدي تقدمه لهم الدولة، لأن ذلك كله يتعارض مع تعاليم تفسيرهم المقدس للإنجيل، المسمى عندهم بـ "الأوامر القديمة". يقدر الأميش الحياة الريفية والعمل اليدوي والتواضع، وكل ذلك تحت رعاية العيش بما يفسرود على أنه كلمة الله. أما بالنسبة للأعضاء اللذين لا يتوافقون مع تطلّعات المجتمع واللذين لا يمكن إقناعهم بالتوبة، فبالإضافة إلى الحرمان من حقوقهم، يتجنبهم مجتمع الأميش ويعيشون بمعزل عنهم، هي ممارسة تحد من الاتصالات الاجتماعية لتهدّي الفرد الضال لكي يعود إلى الكنيسة. بخلاف ما يقرب من 90 % من المراهقين الأميش أن ينضمّوا إلى الكنيسة. وتسمى مجموعات الأميش إلى الحفاظ على

درجة من الانعزال عن العالم غير الأميشي. وبشكل عام، يُركز بشدة على العلاقات بين الكنيسة والأسرة. يدير الأميش عادةً مدارسهم المكونة من غرفة واحدة ويتوقعون عن التعليم الرسمي بعد الصف الثامن، وعندما يبلغ الأطفال سن 16 عامًا، يتلقون تدريبًا مهنيًا تحت وصاية والديهم والمجتمع ومعلم المدرسة. التعليم العالي غير مشجع بشكل عام، لأنه يمكن أن يؤدي إلى الفصل الاجتماعي وتفكك المجتمع. ومع ذلك، استخدمت بعض نساء الأميش التعليم العالي للحصول على شهادة تمريض حتى يتمكن من تقديم خدمات القبالة للمجتمع.

اللغة: يتحدث الأميش بلهجة اللغة الألمانية البنسلفانية، كما يتعلم الأطفال أيضًا اللغة الإنجليزية في مدارسهم، ويتحدث الكبار الإنجليزية بطلاقة مع الغرباء. تُدرس المدارس أيضًا اللغة الألمانية القديمة، والتي تُستخدم في الوثائق الدينية. تُستخدم الكلمات الإنجليزية مثل الشلابة والكمبيوتر أحيانًا في الكلام. يشعر بعض الأميش بالقلق إزاء الاستخدام المتزايد للغة الإنجليزية. كما يُشير الأميش إلى جميع الغرباء بشكل جماعي باسم "الإنجليز". معظم أسماء الأميش من أصل سويسري، تشمل الألقاب الأكثر شيوعًا ميلر، ويوهر، وتروبير، وكينج وشوارتز، وفيشر، ولاب... الخ.

المجتمع : في مجتمع الأميش، الرجل هو رئيس الكنيسة ويعيش حياة العمل والمجتمع والمنزل. رعاية المنزل والأطفال هي عالم المرأة. للمرأة الحق في التصويت في الكنيسة، لكن ليس لها حق الوصول إلى المناصب القيادية في المجتمع.

لا يمتلك الأميش هيكل تنظيمي مركزي، الهياكل التنظيمية لمجتمعات الأميش فضفاضة وغامضة، وليس لديهم بيروقراطية أو مقر أو رؤساء تنفيذيون. بدلاً من ذلك، المجتمع عبارة عن شبكة من العلاقات الشخصية. تحت أسقف طائفة صغيرة وموحدة، جميع الرجال متساوون نسبيًا. هناك عدد قليل من الأثرياء، ولا يوجد فقر تقريبًا. في مجتمعات الأميش، يتم استجواب الجناة أمام المصلين بأكملهم ويُصدر الأسقف الحكم. أقسى عقوبة هي سنة أساييع من الانفصال عن المصلين. إذا لم يُتوب الجاني عن أفعاله خلال تلك الفترة، فسيتم طرده من المجتمع بأسره. ومع ذلك، سيظل الفرد التائب قابلاً للدخول مرة أخرى ولا يجب

رفض الفرد المَقْصُول: يمكن التحدّث معه، ولكن لا يجوز مُصافحته مثلاً، ولا تلقّي شيء منه.

الأسرة: يتزوَّج الأميش بين سن 19 و 25 عاماً، و 90% من البالغين مُتزوجون. الطلاق مُقيت ويؤدي إلى الانفصال عن المُجتمع؛ تلد المرأة ما معدله 7 أطفال في سن بين العشر سنوات و 45 سنة، و 10% من العائلات لديها ما لا يقل عن عشرة أطفال. ومع ذلك، فقد انخفض حجم العائلات بشكل طفيف في السنوات الأخيرة في بعض المُجتمعات. تُعتبر تربية الأطفال رخيصة الثمن في مُجتمع لا توجد فيه هوايات باهظة الثمن حيث يشارك الأطفال في الأعمال المنزلية منذ سن مبكرة.

الأبوة والأمومة: الأميش يُربي أطفاله طبيبين ومطيعين، ويقضون على الأخلاق السيئة والعناد في سن مبكرة. يُشارك الأطفال في الأعمال المنزلية في وقت مبكر ويتم تربيتهم كأعضاء غير أنانيين في المُجتمع. وفقاً للشعار المستخدم في المدرسة: "يسوع يأتي أولاً وأنت أخيراً والآخرين في المنتصف"، لا يتم إيداع الأطفال في رياض الأطفال أو دور الحضانة، ولكن الآباء يربون أطفالهم في سن ما قبل المدرسة في المنزل.

الدين والعقيدة: الأميش هم مسيحيون يؤمنون بالروحية المسيح، والجنة والجحيم، وبكلمات الكتاب المقدس. بقيت أساسيات إيمانهم على حالها منذ عام 1632. بالنسبة إلى الأميش، الإيمان جزء كلي لا ينفصل عن الحياة، ونادراً ما يمارسون المراسيم الدينية الفعالية ساعة في صباح يوم الأحد، وفي حفلات الزفاف. يقيمون خدمات العبادة في منازل بعضهم البعض كل يوم أحد ويعتبرون مبنى الكنيسة الدائم بمثابة تفاخر. يجتهد الأميش في خدمة الله قدر استطاعتهم وتقديم خلاصهم للرب. والخلاص في نظرهم يعتمد على الأعمال وليس على الإيمان، يبنون حياتهم على الكتاب المقدس، على الرغم من أنهم نادراً ما يقتبسونه مباشرة في حديثهم. يُقرأ الكتاب المقدس في اجتماعات مُشتركة، ولا يُسمح بتفسيرات الفرد خوفاً من ظهور الفردية، يستخدم الأميش الكتاب المقدس الألماني لمارتن لوتر، أو نسخة الملك جيمس الإنجليز.



المطقوس: طقوس الأُمَيش تقليديّة ولا تتغيّر: حفلات الزفاف والتعميد والجنائزات تتبع بروتوكول صارم ومعروف. يحتفل الأُمَيش بأكثر الأعياد الأمريكيّة شيوعًا مثل عيد الفصح، وعيد الميلاد، وعيد الشكر، ورأس السنة الجنيّدة، بالإضافة إلى بعض الأعياد السويصريّة القديمة. ولا يوجد عمل ولا مال يوم الأحد، تُقام خدمات العبادة صباح كل يومين في منزل شخص ما. يدخل الرجال والنساء من أبواب مُختلفة ويجلسون على مقاعد مُختلفة. لا تشارك المرأة في العبادة، لكنها تقوم بإعداد الوجبات. يتضمن الحفل أغنية جماعية وخطبتين تدوم أطولهما ساعة. بالإضافة إلى صلاة الراكع. كل شيء متواضع وتقليدي قدر الإمكان. تستمر الخدمة ببطء وتنتهي في حوالي الساعة 3 مساءً، وقد يكون الحضور طوعيًا أو مطلوبًا.

يتم تعميّد الأُمَيش بين سن 16 و 22 عامًا، غالبًا قبل عام من الزواج أو قبله. المعموديّة تعني تبني قواعد المُجتمع لبقية حياتك.

الأعراس تقام بعد موسم الحصاد، يومي الثلاثاء والخميس من شهر نوفمبر "تشرين الثاني". وتقام مراسم متواضعة لمدة ثلاث ساعات ونصف الساعة في الخارج في منزل العروس. بعد ليلة الزفاف، يعيش الزوجان بعيدًا عن والديهما حتى الربيع، عندما يؤسسان منزلًا مشتركًا. لا يوجد شهر عسل، لكن الزوجين يقضيان عطلة نهاية الأسبوع معًا بالتناوب مع أقاربهما المختلفين.

يختلف تقليد جنازة الأُمَيش إلى حد ما من منطقة إلى أخرى. ومع ذلك، يغسل الأقارب المتوفي قبل وصول الجنازة. يرتدي المتوفي الملابس البيضاء بشكل رئيسي، وأحيانًا ترتدي الزوجات فساتين زلفهن. التسليم نفسه منظم بشكل جيد ورسمي. شواهد القبور بسيطة.

الملابس: فساتين الأُمَيش متواضعة وتقليديّة. فمن خلال لباسهم، لا يُعبّرون عن تواضعهم فحسب، بل يُعبّرون أيضًا عن تكاتفهم والمساواة المُتبادلة. يرتدي الأطفال أيضًا ملابس مشابهة لملابس والديهم. غالبًا ما تُصنع الملابس في المنزل، ولكن يتم شراء الملابس الداخلية والسترات الرجال.

ترتدي النساء غطاء رأس يعبر عن الخضوع لله والرجل في سن الثامنة، ويعتمرن قبعات سوداء تخفي شعورهن، ويستبدلن تلك القبعات، بقبعات بيضاء بعد الزواج. يتم ربط شعر الفتيات بالصفائر. لدى النساء البالغات انقسام في منتصف الشعر، وكعكة في الخلف. لا تقص المرأة شعرها أبداً. يمتد لباس الشبابات على الأقل تحت الركبتين. الفساتين أحادية اللون من الرمادي إلى الأزرق أو العنابي، وترتدي النساء المريضة فوقها. كما يتم ارتداء الملابس السوداء أثناء الجفاف.

يقوم الرجال بقص شعرهم من شحمة الأذن. لا يوجد انقسام وتمتد الخصلات إلى منتصف الجبهة. يحلق الرجال غير المتزوجين، ولكن بعد الزواج أو بلوغ الأربعين من العمر، يطلق الرجال اللحية. ومع ذلك، يتم حلاقة الشارب حيث أنهم يربطون الشارب بالضباب الأوروبيين. يرتدي الرجال دائماً قبة واسعة الحواف في الهواء الطلق. يبدأ الأولاد في ارتداء القبة عندما يبلغون من العمر عامين. تستخدم قبعات القش في الصيف، والقبعات الصوفية السوداء في الشتاء. تستخدم الحملات مع البنطلونات وليس الأحزمة. عادة ما يكون اللون أسود، لكن القميص قد يكون ملوناً بدرجة أكبر.

كان لباس بعض المسؤولين مهدياً في السبعينيات عندما بدأ القانون يشترط ارتداء الخوذات في مواقع البناء. ومع ذلك، تم إعفاء الأميش من الاستمرار في ارتداء الخوذات.

يحاول الأميش أحياناً تحدي قواعد اللباس. حيث كان آباء الكنيسة قلقين بشأن الفتیان اللواتي لا يرتدون القبعات والفتيات اللواتي يرتدين الحجاب الهزيل للغاية. في الخمسينيات والسبعينيات من القرن الماضي، قام أولاد الأميش المتمردون بقص شعرهم والتخلي عن القبعات.

المسألة: لا يزال معظم الأميش يُنجبون ستة أو سبعة أطفال، وكان الانخفاض الكبير في معدل وفيات الرضع والأمهات في القرن العشرين في صالحهم. حيث يفضل الأميش الولادة في المنزل أو مراكز الأمومة في كثير من الأحيان نسبياً. يُعتبر أسلوب حياة الأميش صحياً حيث يقومون بالعمل اليدوي، ويأكلون الطعام الصحي والطازج، ولا يشربون الكحول. ونتيجة لذلك فإن السمنة نادرة.



التقنيات الحديثة: الأميش يعتمد بشكل انتقائي على التكنولوجيا الحديثة. إنهم يرفضون التلفزيون تمامًا، لكنهم يسمعون بالكهرباء. استخدام الهاتف غير مسموح به تمام ومن غير المسموح ملكيته أيضا ، المنازل لا تحتوي على أجهزة كهربائية . غالبًا ما يستخدم الغاز للإضاءة والتدفئة. ومع ذلك، توجد أسوار كهربائية على المراعي وأضواء كهربائية على العربات التي تجرها الخيول. وتستخدم المصابيح التي تعمل بالبطاريات كمصابيح قراءة.

المواصلات: لا يركب الأميش الخيل على ظهورها، حيث يُحظر أيضًا ركوب السيارات وامتلاك الدراجات. تمتلك عائلة أميش العادية كلبًا أو اثنين من الكلاب الألمانية، بالإضافة إلى 6-8 حصان عمل، ويعتبر الحصان جزءًا مهمًا من هوية أميش وثقافتها وفولكلورها.

هناك مجموعة متنوعة من العربات التي تجرها خيول الأميش، بعض العربات مفتوحة والبعض الآخر من العربات مغطاة ويمكن أن تستوعب جميع أفراد الأسرة. العربات متواضعة وموحدة من الخارج، ولكن تستخدم أحيانًا مجموعة متنوعة من الملحقات والديكورات داخل العربات، حيث تحتوي بعضها اليوم على أضواء وعاكسات. لا يشترط أن يكون لدى الأميش رخصة قيادة أو اختبارات الجدارة على الطريق، والأضرار التي تلحق بك بسبب الخيول يتم تمويلها عمليًا من عائدات السياحة. السفر في الطائرات محظور لدى الأميش لأنه غير ضروري بالنسبة لهم ويتطلب منهم الذهاب إلى مناطق حضرية.

الصناعات: لفترة طويلة، كانت الزراعة هي المهنة الرئيسية لمعظم الأميش وجزءًا أساسيًا من أسلوب حياتهم وواجبهم المسيحي. ولكن بدأت الصناعات الأخرى في الانتشار بشكل أكبر بعد الركود في الثلاثينيات، حيث أن ارتفاع أسعار الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى التوسع السريع في عدد سكان الأميش، والرغبة في سد احتياجات العدد المتزايد للسكان، دفع لانتشار أنواع أخرى من العمل بحلول السبعينيات. وبالتالي انتشرت الصناعة إلى جانب الزراعة كمصدر للرزق.

في عام 2001، كان ثلث هؤلاء السكان يعملون، حوالي 85 ٪ من النساء ربات بيوت، لكن العديد منهم يعملن بدوام جزئي، وإن كان ذلك غالبًا في المنزل. ويسعين جاهدين للعمل بالقرب من المنزل قدر الإمكان، ويعمل 60 ٪ من الرجال أيضًا من المنزل. أكثر أشكال



الأعمال شيوعاً في الأميش هي المتاجر الصغيرة، وورش الأعمال اليدوية، وصناعة الأثاث والأدوات المنزلية. يوجد حالياً حوالي 9000 إلى 10000 شركة، وتمثل شركات الأميش حوالي 10 % من إنتاج الأثاث في الولايات المتحدة. كما تتسم صناعات الأميش علامة ومنها صناعة الأثاث، والصناعات اليدوية كالألحفة مثلاً تتسم بالدقة والمهارة والإتقان، فقد اكتسبت صناعاتهم سمعة جيدة في الولايات المتحدة الأمريكية.

لا بد من الإشارة إلى أن بعض مديري أميش قلقون بشأن أجواء العمل خارج المجتمع ويخشون أن تكون التأثيرات الخارجية ضارة بالمجتمع.

السياحة: بدأ أسلوب حياة الأميش في العقود الأخيرة، بجذب الأمريكيين العاديين اللذين يريدون رؤية أسلوب حياة بسيط. حيث يزور مناطق الأميش السكنية كل عام أكثر من 19 مليون سائح. تقدم الشركات السياحية: الجولات، وركوب العربات، والزيارات، والإقامة الليلية في منازل الأميش. كما يبيع الأميش حرفهم وطعامهم للسائح، ويعملون كمرشدين سياحيين أيضاً. العلاقة بين الأميش والسياحة ذات شقين، حيث يجلب السائحون الأموال إلى المنطقة، ولكن من ناحية أخرى، الأمر غير مريح للكثير منهم، ويشعرون أن السياحة تجعل الأشياء التي يعتبرونها مقدسة لهم وتقاليدهم المقدسة ليست إلا سلعة سياحية في السوق.



جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الآثار
العام الدراسي 2021-2022
السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الرابعة

د. شادي الأسعد



النبيك عاصمة جبل القلمون

موقعها. عدد سكانها. مناخها. مشرفها. المشاهد المحيطة بها:

كانت النبيك حتى القرن التاسع عشر، قرية كبيرة أو بلدة صغيرة واقعة على بعد 79 كم شمالي دمشق، في منتصف الطريق بينها وبين حمص وفي طرف صحراء سورية، وكان يسكنها في ذلك الوقت حوالي ثلاثة آلاف من المسلمين، وخمسمئة نسمة من السريان، والروم الكاثوليك. أكثر من عشرين في المئة يقرأون قراءة بسيطة، وكذلك يكتبون بشكل بسيط.

تطل بيوتها على سهل فسيح، وتحيط بمساكنها من الشرق والشمال حدائق وبساتين وكروم تنقي من نهرها المشهور بعمودية مائه وبرودته وصفائه، ويأتيها هذا الماء بقناة إرامية على زعم بعضهم، ورومانية على زعم غيرهم، ذات أبار عديدة إلى الجنوب الغربي منها.

النبيك مشهورة بجودة مناخها وطيب هوائها البارد والجاف. صيفها لطيف لا يعرف الحر إلا قليلاً، وشتاؤها بارد وقاس إلى درجة قصوى، حيث تنخفض درجة الحرارة في الشتاء إلى 20 درجة تحت الصفر، ولا ترتفع في الصيف إلى أعلى من 29 درجة إلا نادراً جداً. لكن بردها مع شدته خال من الرطوبة ولا يسبب أي ضرر.

وموقع النبيك، على هذه الرابي والتلال المنحدرة نحو الشمال، فوق ذاك السهل الفسيح وتلك الجنان والبساتين التي ينساب بينها نهرها الصافي، جعل سكانها يعمدون إلى بناء مساكنهم على وضع يستفيدون منه ووجهة تجعلها متممة لكثير من الشروط الصحية والاقتصادية.

فجاءت هذه المساكن منبسة في منحدرات تلك الروابي بعضها أعلى من بعض، مؤلفة من طبقتين، متجهة بنوافذها نحو الشمال، لا يمنع بعضها سكان البعض الآخر من التمتع بتلك المناظر الطبيعية الجميلة.



فأول ما يرى الإنسان أمامه الجنائن والبساتين والكروم، ومن ورائها ذلك السهل الفسيح،
وبعده تلال وريبي سلسلة لبنان الشرقي بأحراجة وثلوجه في الشتاء.

بناياتها: كان النبكيون كما ذكرنا سابقاً يسكنون مساكنهم بطبقتين، على وضع يستفيدون منه
صحياً واقتصادياً، فيبنون نصف الطبقة السفلى بحجارة صلبة، ونصفها الأعلى باللبن
ويسقفونها بخشب "الزائب" الذي يستحضرونه من منطقتي (قليطة والمعر) لأنه رخيص
ومتين جداً. وكانوا يخصصون هذه الطبقة لدوابهم ودواجنهم ولحفظ التبن والوقود والأتهم
الزراعية. ويبنون الطبقة العليا باللبن ما عدا الأبواب والنوافذ فأنها من الحجر "الكدان"
الأبيض المنحوت، فيسمونه "نحيت" وهو من أراضي النبك ومقالعها، ويسقفونها بخشب
الحوار، وهو من منتجات أرضهم، وقد امتاز بصلابته فلا يسطو عليه الموس كغيره من
الحوار مهما طال عهده. فيسكنونها ويتمتعون منها بتلك المناظر الجميلة.

ثم يبنون إيواناً أمام الغرف العارية المتجهة نحو الجنوب، فتعرض لأشعة الشمس، وتظل
الشمس في الإيوان الجنوبي وداخل الغرف من الصباح إلى المساء. وهذا يخفف من شدة
البرد شتاءً، فلا يحرقون وقوداً في الأيام الباردة جداً. وفي الصيف يظلهم من حر الشمس،
ويمدون أراضي الغرف والإيوان بطبقة يصنعونها من رماد موقد الحمام العمومي ويحسنون
صنعها لدرجة تصبح فيها صلبة كالحجر وناعمة تلمع لشدة ما يملكونها ويعتنون بها، حيث
تقيم لمدة طويلة لا تقل عن العشرين سنة. وظل أهل النبك يجهلون الزجاج إلى أن اتخذت
بلدتهم مقراً للحكومة، فأخذوا يستعملونه لنوافذ بيوتهم، بينما كانوا سابقاً يستخدمون الخشب
لإغلاق نوافذهم، وكان البعض منهم يستخدمون الخام الأبيض، يغطون به النوافذ التي هي
تحت الإيوان، فيمنع الهواء والبرد عنهم ويظل النور في الغرف.

عمرائها: كانت النبك، حتى أواخر القرن الماضي محط رجال القوافل التي كانت تسير بين
حلب ودمشق. وكانت محطة تنزل فيها أقوام الأعجام، يوم كانوا يحجون إلى البيت الحرام
بهذا الطريق، وكان ذلك موسماً لأهالي النبك، فقد كان الأعجام ينزلون عند أهالي البيوت
القريبة من الطريق العام، وفي الصيف ينتصبون خيامهم بقرب نهرها الجاري على بعد
400 متر عن البلد، فيبادر أهل النبك ويتوارد سكان القرى المجاورة أيضاً لابتياح السلع



العجمية، كالسجاد، والشال، والجوارب، والبسط، والخيل، والبغال، والأقمشة الحريرية والصوفية، وغيرها. وترى حتى الآن في بعض بيوت النبك من الأشياء المذكورة ما يدهش الناظر بحسن صنعه وإتقانه.

ومن الجدير بالذكر بأنه بعدما اتخذت النبك مقراً للحكومة، بأمر من الوالي مسحت باشاء أقامت الحكومة على رأس أحد روابي النبك سرايا عظيمة لا تزال موجودة حتى وقتنا الحاضر "سرايا النبك"، لم يكن لها مثيل في سورية حتى أواخر القرن الحالي، كما أقام الأهالي بالقرب من السرايا كل من المساكن والحوانيت والفنادق.

الحياة في النبك:

1- أشغال أهل النبك: يمارس أهل النبك الفلاحة والزراعة كسائر أهل القلمون، وكان فريق منهم يمارس "المكارة" على الجمال والبغال وأحياناً على الحمير، وقسم آخر يعمل في تربية المواشي من غنم وماعز في جباله الكثيرة لأنها تتمتع بجودة مراعيها ودفنها في الشتاء مما يجعلها صالحة لتربية المواشي.

وفي السابق كان لدى أهالي النبك وحدهم حوالي ألف وخمسمئة جمل، يستخدمونها في المكارة أي يكارون عليها بين دمشق وحلب حتى أورفة وديار بكر. وكانوا يكفون الشام مؤنتها من السمن وحاجتها من القطن، يأتون به من الجهات الشمالية مثل حلب والجزيرة، ويسافرون إلى ما هو أبعد منها، إلى عريش مصر جنوباً، والموصل ودير الزور شرقاً. ولقد كانت قوافل النبك مشهورة بقوتها ومناعتها تجاه هجمات البدو وقطاع الطرق.

القليل من سكان النبك يحترفون بعض الصناعات مثل النجارة، الحدادة، الصباغة، دباغة الجلود، عمل الحلاوة الطحينية، الحلاقة، القصاية. ومعظم الصناعات كانوا يباطرون ونجارين وحدادين واسكافيين وحيالين.

2- مآكلهم : يعيش سكان النبك حياة بسيطة، أكلهم من منتجات أرضهم وما تدر به مواشيهم عليهم. فيأكلون حبوب الحنطة ويصنعون منها البرغل والخبز، ويطعمون ذوابهم من الشعير.



ولقد كانت الذرة الصفراء من طعامهم أيضاً بالإضافة إلى القمح، ولا يجسرون على زراعة غير هذه الحبوب، لعدم سلامتها من آفة البرد والصقيع في الشتاء. ويغرسون من الأشجار الجوز، والإجاص الشتوي، والعنب الأحمر، والمشمش.

كما زرعوا التوت، البقول، اللفت، الجزر، الفجل، القرع، الكوساء، البقطين، البصل، الثوم، البطاطا، التفاح، الزيتون، الخيار، الخوخ، التين، الرمان، البرنقار، الليمون، الباذنجان، الطماطم.

يأكل أهل النيك من اللحم: لحم الماعز، الضأن، البقر، الجمال. ولديهم الكثير من أصناف الطعام المشهورة: (المجدرة، الكبة، الدفين، شوربة الرشتية، الشاكرية، ورق العنب).

كما يأكلون من الحلوى "نيس العنب" اللذين يصنعونه بيديهم من كرومهم، كما يشتهرون بأكلة "المغطوط" وهي عبارة عن الحليب مع خبز التتور، حيث أنهم يتركبون الحليب اللذين يحلبونه في المساء حتى الصباح، فيصبح على الحليب طبقة رقيقة من الزبدة، فتأني المرأة ومعها الخبز التتوري، وتطرح الأربعة فوق الحليب، فيأخذ الرغيف من الزبدة ما يغطي وجهه، ثم تعود وترفع الأربعة وتطبق كل رغيفين معاً وبعد مرور ساعة أو نصفها يأكلونه مع الدبس. وهذه الأكلة لذيذة جداً لا يعملها إلا من كان عنده عند كبير من الماعز والغنم، وهم يفتخرون بها ويدعون أحبائهم وأصحابهم لتناولها. كما يصنعون الدبس، والكشك، والبرغل، والزبيب.

3- الولايم: يدخل المدعوون إلى غرفة من غرف الدار بعدما يلقون السلام، وتكون الغرفة مفروشة بالمسجد أو البساط وقد مدت في جوانبها الفرش، وفوقها المرافق والوسائد الموشاة بالخروق البالية فينكثون عليها ولا يكاد يستقر الداخل في موضعه حتى يبادر الحضور كل بدوره بإلقاء التحية فيرد عليه بأحسن منها.

❖ الموقد والوجاق: في إحدى زوايا هذه الغرفة يوجد موقد من الحجر الصلب، وفوق الموقد مدخنة من حجر ولين وطين تسمى "الوجاق" وهي كلمة تركية، الوجاق له واجهة من حجر الكدان الأبيض المنقوش نقشاً عربية جميلة، وفي هذا الموقد يشعلون النار من الحطب أو الفحم.



☞ القهوة: أول ما يقع عليه نظر الداخل إلى هذه الغرفة هو النار التي قد وضعت عليها أبريق الشاي والقهوة. وأمام الموقد صاحب البيت أو أحد أبنائه أو أصحابه أو أقاربه، ويده محمصة من حديد وذات ساعد. فمتى ما فرغ الرجل من تحميل البن، حتى يضعه في هاون من الخشب الصلب ليبرد، ثم يدقه بمنقة من الخشب نفسه يسمونها "المهباج". فيدق دقاً موزوناً له أيقاع يستحسنه الحضور، حينئذ يأخذ في طبخ القهوة بشيء من الخسير المحفوظ في الأبريق (أي ما تبقى من القهوة المطبوخة سابقاً)، فيضيف إليه الماء اللازم ويغليه جيداً ويسكب منه في إبريق متخصص بالطبخ مع القهوة المدقوقة حديثاً، وحينما تنضج يضاف إليها "حب الهال" مدقوقاً، ويروقها أي يسكبها في إبريق ثالث يختص بالقهوة "البكر" كما يقولون.

☞ تناول الطعام: بعدما يكمل عدد المدعوين، يضعون في وسط الغرفة سفرة مصنوعة من الخشب ترتفع عن الأرض مقدار نصف ذراع، ويضعون عليها (المنسف) وهو وعاء من نحاس، كبير الحجم، مقعر الشكل، يمتلئ بالرز أو البرغل المطبوخ بالسمن. وحوله صحائف تحتوي على أنواع متعددة من الطبخ، ويضعون أكداً من خبز التتور، يدنو المدعوون إلى السفرة بحشمة واحترام، ويبادون بالبسملة، ومن مبادئهم "لا سلام ولا كلام على الطعام". وتري صاحب البيت وأولاده وأخواته واقفين وبأيدي بعضهم الماء للشرب، وبأيدي الآخرين صحائف مملوءة من أنواع الطعام. حيث يتفقدون المنسف وصحائف الطعام لنلا ينفذ ما فيها.

4- السهرات: كان أهل النبك في ليالي الشتاء الطويلة يأتون بمن يحسن القراءة وله صوت جميل، فيقرأ لهم إما سيرة عنتر بن شداد، أو قصص بني هلال، أو قصة الزير سالم، أو قصصاً لا أصل لها أبطالها من الجن والمردة. يستمتعون بهذه القصص في سهراتهم وهم يتناولون القهوة والشاي، والتبغ بـ "الخليون"، أو التنباك بالارجيلة. وأحياناً يلعبون الورق. وهذه المطقوس تسمى عند أهل النبك بالسهرية.



5- اللباس: كان الرجل يلبس أولاً جلباباً أي قميصاً يصل إلى ما فوق أقدامه، وتحتة سروالاً من الخام البلدي الأبيض، وفوق القميص صدرية أي صدرية تحيط بالصدر والظهر بلا أكمام، لها أزرار على الصدر. وفوق الصدرية صدرية ثانية بأكمام بدون أزرار. والقماش في لباس الرجل من الخام البلدي المصبوغ باللون الكحلي أو الأزرق النيلي. وفوق كل هذا يلبس الرجل أحياناً عباءة صغيرة. وفي أيام البرد تصنع العباءات الشتوية من الصوف الأسود الموشح بقليل من البياض. أما الشبان فيلبسون فوق القميص والسروال رداء كالقنبار يسمونه "صاية" من الخام البلدي المصبوغ باللون الأزرق. ويتحلون بالخواتم الفضية.

أما النساء فترتدي ثوباً فضفاضاً من الخام الأزرق، ويضعن عليه الزنار، وكان هذا الزنار أيضاً يستعمل كمحفظة، وتضع المرأة على رأسها طاقية تعصب بها جبهتها بشملة حريرية ومقصبة أحياناً، أو عصبة قطنية سوداء. وتلف رأسها بمنديل ملون بالأحمر والأسود والأصفر. وكن لا يستعملن لألبستهن سوى الأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية المنسوجة بأيدي أبناء البلاد، وعلى أنوالهم البسيطة، كالخام البلدي والدامسكو، والعصمانية، والحامدية، وغير ذلك من مصنوعات دمشق.

6- المآتم: (عيادة المريض، الوفاة)

• عيادة المريض: كان أهل النيك متى مرض أحدهم، وطالت عليه العلة، يتهافتون لزيارته رجالاً ونساءً. وكان على النساء أن يحملن للمريض شيئاً من الكحك أو البرنقال أو الرمان الحلو أو الأجناس الشتوي أو البطيخ. لأنهم كانوا يعتقدون أن جميع هذه الأشياء مباح أكلها للمريض، وغير مضره به أي كانت علته، ولا سيما إذا تماثل للشفاء ودخل في طور النقاهة. وأما إذا امتدت عليه وطأة المرض وكان أو إذا كان وضعه خطيراً، فيكثرون من التردد إليه دون أن يحملوا إليه شيئاً.

• الوفاة: عندما تحدث الوفاة تمنع زوجة المتوفي أو والدته أو أخته من البكاء والصراخ، وتقوم بعض القرابات الحاضرات بتبديل ثياب المتوفي بثياب تكون مهينة عند الكثيرين، مسلمين كانوا أم مسيحيين، وقد كانوا يحضرونها من مكة أو القدس يوم حجهم إليها، وعندما يتممون لباس الميت ثيابه، يضعونه على فرشة عالية تدعى

"المرثية" حينئذ تصرخ النساء من أهله وأقاربه مولولات، فتجتمع الناس حوله حزناً وحداداً، وبحسب أهمية المتوفي تكون شدة النذب وخفته، ويرددن أبياتاً مختصة بالماتم يعددون فيها مناقب الفقيد، حاثات ذويه من الرجال والنساء على البكاء والحزن.

أما الرجال فيجتمعون في غرفة من غرف دار الميت وحدهم، فترى البعض منهم باكين، والبعض الآخر يتحدثون فيما يخص الماتم، فيقصون على أهل الميت قصصاً وأمثالاً عن عظام المصاب الحالي والنواب السالفة مما هو أعظم من المصاب الحالي. ولم يكونوا في القديم يشربون القهوة، لأنها كانت ممنوعة في مثل هذه الأحوال، خلافاً لما هو جار في أيامنا.



جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة الخامسة

د. شذى الأسعد

جامعة دمشق
Damascus University



المصناعات الفنية في دمشق

يعد تاريخ الشام حافلاً بما كان فيها من مختلف المصنوعات: كالخزف الديباج والدمقس والحبر والشال والأعبنة والشقق الحريرية والقطنية والأثواب المزركشة والنحاس المنقوش والسيوف المصقولة والقاشاني البديع والخشب المحفور أو المغشى بالصدف وغيرها كثير مما استفاضت به كتب التاريخ القديم والحديث.

ودمشق عاصمة الشام والعروبة تأتي في طليعة البلدان الشامية بمصنوعاتها النفيسة، ففيها عدد لا يستهان به من رجال الحرف المحنكين، ترى واحدهم صناع اليددين يأتيك بتحف جميلة أخاذة كأجمل ما يتحفك به أصحاب الفنون الرفيعة. وإن جولة صغيرة في سوق الحميدية بدمشق أو في المعامل المنبثة في أنحاء المدينة أو في المساجد أو في الدور المبنية على الطراز العربي لكفيلة بأن تطلع المتجول على نماذج حسنة من هذه البدائع.

ومن هذه المصناعات اليدوية:

أولاً: النساجة والحياكة: كانت دمشق من أشهر مدن الشرق بطرائف النسيج الحريرية، وكان الملوك يتفاخرون بوشيتها وديباجها أيام الخلافة الأموية، وكانت تحمل منها إلى الآفاق البعيدة. فقد تحدث الإنريسي عن رواجها في أيامه، وذكر المقرئزي أن في دمشق صنوف الخز والديباج النفيس الثمين والعجيب الصنعة والعديم المثال، ثم وصفها وصفا جميلاً. وكانوا يحلون الأثواب الحريرية بصور الفرسان والصيادين والطرائد وأنواع الزهور والثمار والشجر وعجائب الخطوط الهندسية. وقد عرف هذا النسيج باسم دامسكو "Damasco"، أو داماس "Damas" بالإيطالية أو الفرنسية، والفعل "Damasser" أي نسج الثياب على الطريقة الدمشقية، ولعل لفظة الدمقس الشهيرة محرفة عن لفظة دمشق. وجاء في القاموس المحيط ثوب مدمقي أي منسوج بالدمقس. والدمقس هو الإبريسم والديباج. وقد يكون نسيج الداماس أو الدامسكو بعينه. وفي هذه الحال يكون الفعل دمقس ناظراً للفعل الفرنسي (داماسه) المذكور. وقد تبدلت الأنواع في أيامنا هذه، فاندثرت بعض المنسوجات القديمة، وجددت منسوجات أخرى، وأنشئ في دمشق مناسج حديثة تدار أنواعها بالكهرباء،



فتحيك الجوخ والشقق الحريرية على أشكال مختلفة، وقلت الأنوال اليدوية لكن ما بقي منها يخرج للناس نسجاً حريرية وقطنية غاية في جمالها ومتانة حياكتها.

فمن أجود ما ينسج اليوم بخيوط الحرير الطبيعي والصناعي الحبر الفاخرة للنساء والأعينة والبرانس الدقيقة الحياكة والتلوين والكوفيات الموشاة بالقصب والشمال الحريري والصوفي والدمقس البديع الذي يفرش على المقاعد والأرائك (الكنبات) ويستعمل ستائر للذواقد.

ومن أجمل المنسوجات المطرزة تلك التي تسمى "الأغباني" وهي قطع رفاق من حرير تطريز بخيوط حريرية ذهبية اللون مختلفة الأشكال. وقد تفننوا حديثاً بهذه المطرزات فجعلوا خيوطها على ألوان شتى منها الفسقي والبنفسجي وكلها تنم عن ذوق وحكمة. ويستعمل الأغباني في صنع القفطين وأثواب النوم ويصلح غطاءً للأسرة والموائد وغيرها.

وأشغال التطريز في دمشق كثيرة ومتنوعة يتفننون في رسومها وتزاييقها، أما الحرير والقطائف المطرزة بالقصب والموشاة بخيوط الذهب فقد فاقت حلب دمشق في صناعتها، كما اشتهرت بها قرية "زوق ميكائيل" في لبنان.

أما بالنسبة للبروكار الدمشقي: فهو نسيج حريري اشتهرت به دمشق كثيراً من أكثر من خمسة قرون، وهو يعتمد على شرائق حرير القز، وينسج على الأنوال اليدوية التقليدية التي توفر لهذا النسيج رقة اللحمية والسداة.

ونسيج البروكار رقيق، ناعم الملمس، مقاوم، هههاف يصعب نسجه على الأنوال الآلية التي لا تتوفر منها رقة اللحمية والسداة، وحنات حركة المكوك اليدوية، وتعدد ألوان رسوم الجاكار التي تتطلبها الأسواق العالمية... وقد استطاعت منسوجات البروكار أن تلبي حاجات الأسواق والأذواق المعاصرة في الأزياء والديكور، والمفروشات للصالونات الكبرى، فضلاً عن الحاجات النسائية من إيشاريات وفساتين وحقائب، وربطات عنق للرجال أو لفة الخصر في اللباس التقليدي، والستائر وأغطية المفروشات.



والبروكار الدمشقي شهرة عالمية اجتازت الأفاق حتى وصلت إلى القصر الملكي في
بكنغهام ببريطانيا، حتى أن ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية في العام 1947 طلبت أن يكون
ثوب زفافها من البروكار الدمشقي الموشى بالذهب والفضة.

والبروكار الدمشقي نسيج من خيوط الحرير الطبيعي. ومن هذا البروكار ما يدخل في نسيجه
خيوط دقيقة من الذهب أو الفضة على أشكال رسوم الطيور والغزلان والراقصات... وهذا
النسيج يتطلب جهداً ووقتاً، فالصانع الماهر عليه أن يجلس وراء النول ساعات طويلة
متواصلة ليتاح له نسج متر واحد من البروكار. وكانت تجلب خيوطه، خيوط الحرير، من
منطقة دريكيش أو قرى جبال الساحل السوري.

كان نسيج البروكار، ولا سيما زخارفه، يعتمد على البد وبالإبرة، بطريقة ما يعرف ب
(الغل). ومع نشوء الصناعات النسيجية الحديثة في دمشق قم (أنطون مزنر) بإنتاجه على
أنواع حديثة تعتمد على الحرير الصناعي مما أدى إلى توقف الأنوال التقليدية إلا قليلاً،
بسبب المزاومة وسرعة الإنتاج ووفرته.

وتجدر الإشارة هنا إلى النول التقليدي الوحيد المتبقي في دمشق في مدرسة العظم، وكان
قبلاً يمارس ضمن عائلات محددة: النعسان، النقطة، المزنر، الشكاتي، متبني. وفي خطوة
جريئة قام (النعسان) بإنتاج البروكار على الأنوال التقليدية، وبالحرير الطبيعي، مع بقاء
بعض الأنوال التقليدية التي تنتج البروكار من الحرير الصناعي.

ولاريب أن البروكار المنتج ألياً لا تتوفر فيه جميع الميزات التي يقدمها البروكار المنتج على
النول التقليدي وبالحرير الطبيعي، ومن ثم تكون المفاضلة بينهما عند الطلب.

أنواع البروكار وزخارفه:

للبروكار أنواع مختلفة تختلف باختلاف العناصر المستعملة مع الحرير، فمن البروكار ما
هو عادي (سادة) إلا أنه ملون، وترتبط هذه الألوان بالأنواع، وحسب الطلب، وهذا الطلب
يختلف من دولة إلى أخرى، فلكل مجتمع لون مفضل، فالألمان على سبيل المثال يفضلون
اللون الأزرق، والسويديون يرغبون في لون الكريم (الزهر الفاتح)، والأمريكان يرغبون في



الألوان الرمادية... ونقوشه عديدة بدءاً من لونين حتى سبعة ألوان في القطعة الواحدة. وتسمى النقوش بأسماء مختلفة منها: اللوزة، البندقة، بندقة منقطة، بحاري، الحيات، الراقصات، البوب، خيط عربي، معينات، ياسمينية... ومن البروكار ما هو مقصب بخيوط ذهبية أو فضية، وقد تكون تلك الخيوط من معدني الذهب والفضة. وقد تكون تلك الخيوط ينحصر في الرسوم والأشكال الأدمية أو النباتية أو الحيوانية، وقد تجتمع هذه الرسوم في مهاد نسيج واحد.

وكانت الرسوم تنفذ على القماش بالإبرة بأسلوب (الغل) كما ذكر سابقاً، ثم اتبعوا أسلوب بطاقات الجاكار، وهي عملية معقدة تركز على الدقة المتناهية، فهم يرسمون الشكل أو العرق النباتي على ورق (مليمترى) بعرض 5 سم، أو بعرض 20 سم في حالة النسيج على نول 1400 سنارة، فيتكرر الشكل كل 20 سم، ويطبّقون الرسم على ألواح كرتونية متقبة حسب الشكل (الجاكار) تكون في أعلى النول، وتكون بطاقات الجاكار متحركة ومرتبطة بسناتير الرسم، ثم يمر المكوك الخاص بالخيوط العادية بين الأطواق، ويرفع المكوك الخاص بالخيوط العادية الأطواق، ويرفع المكوك الخاص بالرسم السناتير بعدد الثقوب.

وتجدر الإشارة إلى أن عرض القماش بين 87-90 سم، وهو غير قابل للغسيل. والنول الذي يصنع بواسطة البروكار آلة قديمة - محدثة، مصنوع من الخشب والحديد، ارتفاعه ثلاثة أمتار ونصف، وعرضه متر ونصف إلى مترين تقريباً، يثبت عليه دولاب (رول) يلف عليه القماش المنتج. أما المكوك الذي أشرنا إليه في عملية الصنع فهو آلة خشبية على شكل مغزل، توضع داخله الخيوط الملونة التي تمثل اللحمة. أما الشبحة فهي عبارة عن كرتونة ترسم عليها النقشة بشكل ثقوب.

آلية تصنيع البروكار: توضع شلال الحرير على آلة الكبابة، فتحولها إلى خيوط على بكرات خشبية (آلة الكر)، ثم تؤخذ هذه البكرات وتوضع في آلة الزوي، وهي تجمع الخيوط من بكرتين أو أكثر على بكرة واحدة، وتسمى المزاوية، أي أن الخيط - بعد عملية الزوي - يصبح ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً.



وتوضع البكرات المزوية على آلة البرم (القتل المولاية) حيث تغتل هذه الخيوط الثلاثية أو الثلاثية بعضها على بعض لتصبح على هيئة خيط واحد مبروم وقوي. تبرم خيوط السدى عادة حوالي 500 برمة، أما خيوط الحذف أو اللحمة فتبروم أقل من 250 برمة. ثم توضع البكرات على (المسربسة) توضيح لتصنع من خيوط البكرات شللاً منصالية تدعى (البندود). أما السدى - الخطوط الطويلة للقمائن- فتحول من البكرات بواسطة طنبور كبير (اسطوانة قطرها 2-5م) إلى شلل كبيرة وطويلة يصل طولها إلى 240 م في الحرير الصناعي.

ثانياً: النحاسية والقيانة : من أشهر الصناعات النفيسة في دمشق صناعة النحاس المنقوش. ومن أشهر معاملها معمل (النحاسان) في الباب الشرقي. وهي تصنع الثريات والصواني والصحاف والصحون والمشعدانات والمصابيح والتعليق والفوانيس والكؤوس والمزهريات والأباريق والطاسات والصناديق الصغيرة وغيرها من التحف التي يصادفها المرء في الدور العربية والتي ينهافت عليها السياح تهافتهم على الأغصاني والكوفيات والأعينة الحربية وأمثالها من النفائس. وتقوم نفاسة المصنوعات النحاسية على وفرة أنواعها وأشكالها وعلى دقة نقوشها وتصاويرها وعلى الجمال والآيات والأشعار التي تكتب فيها بالفضة وبغيرها.

وليست النحاسية من صناعات دمشق الحديثة بل هي قديمة فيها. وكثير من المصنوعات النحاسية القديمة أدق صنعا من أمثالها في هذه الأيام. ولكن الأنواع التي تصنع فيها الآن قد تعددت، وسابرت ذوق المدينة الحاضرة ومقتضياتها، وجمعت بين المدينتين العربية والغربية، فصرنا مثلاً نرى ثريات ومصابيح نقشت بالنقوش العربية الجميلة، ونقشت عليها الآيات القرآنية والأمثال، وهي أيضاً تضاء بالكهرباء بدلاً من الشموع والزيوت.

وبما أن النحاسية بقيت محتفظة بمكانتها القديمة، فالقيانة التي يراد بها صنع بعض الأسلحة كالسيوف والخناجر قد قل محترفوها لكساد تجارها، فزال ما كان لها من الصيت الذائع والشهرة المستفيضة.

ولا بد للذي يمعن النظر في السيوف الدمشقية من أن يعجب بصفاء نصلها ورهافة حدها وجمال فرندها ووشيتها، وهي تلك الخطوط والعروق الدقاق المتنوعة الأشكال، وتلك الآيات والأشعار المكتوبة بماء الذهب.



ومن الروائع أيضاً ما تحلى به قبضات الخناجر من التزاويق والتعاريج والتراصيع المختلفة. وكان الصليبيون يعرفون السيوف الدمشقية وينقلونها . ونقل العرب صناعة السيوف ووشبها إلى الأندلس، وانتقلت منها إلى إيطاليا. وسماها الفرنج داماسكيناج "Damasquinage" نسبة إلى دمشق، وهو تنزيل خيوط الذهب والفضة في الحديد والفولاذ.

ثالثاً: الصياغة: افتن الدمشقيون في نقش الذهب وتنزيل الأحجار الكريمة فيه. وهذه الصناعة قديمة في دمشق. وهي ما برحت رانجة السوق لإقبال الناس على الحلى المصوغة. والذي يزور سوق الصياغة بدمشق يلقى فيها نماذج جميلة من الأساور والأقراط والخواتم والعقود والتيجان الذهبية المرصعة بالماس أو بغيره من الجواهر، ويلقى أيضاً ضروباً من الحلى الذهبية المرصعة على أشكال شتى كالغزلان والهلل والفرشة والمشط والزنيقة والأفعى وأنواع الطيور... وجميعها محفورة حفرأ دقيقاً ومنزلة تنزيلاً يدل على ذوق ونقاء ومهارة. وكلما تبدلت أذواق النساء وألفت شكلاً خاصاً من الحلى أسرع صياغ دمشق إلى اقتباسه، وأنفثوا صنعه، وتفننوا فيه، ولهذا نرى الأنيفات من النساء وكريمات العقائل لا يبذلن بحلى الشام شيئاً.

رابعاً: الفيسفساء والقاشاني: الفيسفساء مجموعة من قطع صغيرة (من الحجارة والرخام أو الزجاج أو المعادن أو الخشب أو الصدف) تلون ألواناً مختلفة، وترصف بعضها إلى بعض، فيتألف منها نقوش ورسوم وكتابات وأشجار وأزهار وأشكال هندسية مختلفة. وتلصق الفيسفساء بالجص على الجدران والسقوف وأرض الغرف. وكان الفينيقيون والآشوريون والبابليون واليونانيون والروم يخلون بها معابدهم وقصورهم. واقتبسها العرب عنهم فزينوا بها المساجد والقصور. وأشهر ما اتصل بنا منها تلك البقية الباقية في الجامع الأموي، وفي القبة الظاهرية بدمشق، وفي المسجد الأقصى بالقدس، وكلها من الروائع التي لا تقدر بثمن.

وفي الحقيقة أن دمشق ما برحت أن تشتمل على صناع ماهرين يصنعون الفيسفساء بقطع الرخام والحجارة الملونة ، فتتخذ حجارة لأحواض الماء في القاعات، وتفرش على الأرض حول الأحواض، وتلصق على الجدران إلى علو متر أو أكثر.



ومن دواعي الأسف أن يقل مع الزمن عدد العاملين في هذه الصناعة لقلة من ينفقون على النفائس والأعلاق في معترك الحياة الضيقة.

أما القاشاني: (نسبة إلى قاشان في إيران) فقد فقدت صناعته منذ أكثر من قرن ونصف. وهو مربعات من الخزف تكتب عليها آيات من القرآن الكريم وأشعار وحكم، وتنقش بنقوش مختلفة الأشكال والألوان، وتغطي بمسحوق من الزجاج وبعض الأكاسيد، وتشوى في أفران خاصة، فتجيء غاية في اللمعان والرونق. وكانوا يكسونه بها جدران المساجد والقصور والمدارس والسليبيات والمدافن وغيرها. ومنها اليوم نماذج حسنة في ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي وفي التكيّتين السليمية والسليمانية وفي جامعي الدرويشية والسنانية. وقد أخذ البعض من أصحاب معمل البلاط والخزف يصنعون بلاطاً عليه رسوم القاشاني وألوانه، ولكن ليس بجودة وصفاء القاشاني القديم وروعه.

هامة: النجارة والدهان: جوز الخوطة أصلح الشجر للمنحورات العربية وأكثرها استعمالاً. فخشبها أسمر متين مكتنز إذا ما نقش نقوشاً عربية جاء غاية الجمال والصلابة والإتقان. ولهذا عد في طليعة الأخشاب في دمشق. ويأتي بعده الجوز الأمريكي وخشب التنوب (الشوح) والعرعر والسرو وغيرها مما يجلب من الأناضول وبعض البلاد الأوروبية.

ومن أجمل الصناعات الفنية التي اشتهرت دمشق بها منذ القديم تزيين جدران القاعات والأبهاء وسقفها بالخشب المنقوش والمدهون. وتعد هذه الأخشاب وما عليها من الأصباغ والرسوم والأشعار والآيات والحكم والأمثال تحفاً فنية كثيراً ما يعمد أصحاب البيوت الجديدة إلى شرائها من أصحاب البيوت القديمة المتهدمة لتزيين غرف البيوت الجديدة بها. وذلك لأن الأصباغ والرسوم في هذه الأيام السالفة. ومن البيوت القديمة التي اشتملت على نماذج بديعة من هذه الأخشاب دور آل العظم ومردم بك والقوتلي وشمعيا وإسطنبولية وغيرها الكثير.

ومن المعروف أن الخشب كثير الاستعمال في الدور على أشكال شتى كالكراسي والمقاعد والخزائن والكنبات والمنصات والصناديق والعلب وإطارات الصور... إلخ. فدمشق مشهورة منذ القديم بحفر خشب هذه الأمتعة وتزيينها بنقوش عربية رائعة. ولم تفقد هذه الصناعة مالها من قيمة، وقد أخذ النجارون منذ عشر سنين تقريباً يدرسون أشكال الرسوم التي كانت ترسم



على الخشب في مختلف الممالك العربية القديمة (أيام الفاطميين والأيوبيين وغيرهم)، وأخذوا يحلون أخشاب الأمتعة بنقوش مماثلة لتلك الرسوم، فجاءت بهجة للناظرين. وليس نقش الرسوم الجميلة والآيات والأشعار والحكم في الخشب هو العمل الوحيد الذي اتقنه النجارين بدمشق، فتنزيل الصدف في الخشب يعد من أشهر ما عرفت به تلك المدينة. ويسمى فيها الترصيع والتطعيم. وكثيراً ما ينزلون قطع الصدف الصغار وخيوطاً وعروقاً من المعادن ومن رقائق الأخشاب الملونة، فيجيء المجموع فسيفساء أخاذة. ويشاهد المرء في بعض معامل التجارة وفي السوق الحميدية بدمشق تحفاً متنوعة من هذه المصنوعات كادوات النرد ومنضدات اللعب والزهريات وغيرها.





جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

العام الدراسي 2021-2022

السنة الأولى – الفصل الثاني

مقرر: الإثنوغرافيا

المحاضرة السادسة

د. شذى الأسعد



صناعة القش

حرفة النساء السوريات القديمة في الريف السوري

حرفة صناعة القش من الحرف اليدوية التراثية التقليدية العريقة الجميلة التي نتوارثها الأجيال المتعاقبة في الريف السوري. فهناك كثير من القرى السورية كان سكانها يمتنون هذه الحرفة القديمة الجميلة، لأن أهالي هذه القرى البسيطة تحتاج إلى أطباق وأوان مختلفة الأشكال والأحجام، لنقل مستلزمات عملهم وطعامهم إلى الحقول، ونقل إنتاجهم الزراعي بالعكس من الحقول إلى البيادر، ومنها إلى المنازل. فقد برعت نساء مدينة السويداء في صناعة أطباق وأوان متعددة الأحجام، بدلاً من الصواني وصحون الطعام، وصناعة سلال حفظ المؤن والفواكه، فضلاً عن الملابس. واشتهرت نساء قرية "بسورم" إحدى قرى محافظة طرطوس بصناعة أطباق القش لتأمين احتياجاتهن المنزلية منها، ولكن تراجعت هذه الحرفة كثيراً حتى لا يذكر اليوم في القرية كلها سوى قلة قليلة ممن يصنعن أطباق القش. وهناك كثير من القرى في مصياف يشتهر سكانها بهذه الحرفة القديمة الجميلة، وتتميز قرية "الحليونة" في منطقة مصياف بهذه المهنة التي حافظ كبار السن عليها، وعلموها للأجيال اللاحقة حتى لا تختفي وتزول، فضلاً عن بعض قرى ريف دمشق وجبل الشيخ وريف حوران، التي اشتهرت بهذه الحرفة.

حظيت صناعة القش بموقع مهم لدى النساء ممن امتنهن هذه الحرفة، وكان استعمال الأدوات القشية من العناصر الأساسية في الحياة اليومية للريفيين في سورية، فقد تعلمت الكثير من السيدات في القرى هذه الحرفة اليدوية، وورثنها عن أمهاتهن وجداتهن، وجرت العادة على الاهتمام بتعليمها للفتيات في سن صغيرة كمعظم الأشغال اليدوية المنزلية التي تدل على مهارتهن وقدرتهن على تحمل مسؤولية الحياة الزوجية، فأصبحت صناعة القش مورد رزق رديفاً للزراعة، يوفر أدواتهم المنزلية الضرورية، ويعينهم على تجاوز حياة الفقر التي عاشوها وتقيهم شر العوز. ومن هذا المورد ربوا أولادهم وعلموهم دون أن يحتاجوا إلى طلب المساعدة من أحد، فأصبحت صناعتهم الوحيدة ولم يتخلوا عنها، فعملوا على المحافظة على هذا الموروث واستمراره لما له من أهمية في حياة الأسرة. فقد رسمت النساء بالقش



الملون حكايات متواصلة عبر المنين، وأصبحت مع تطور الحياة شكلاً من الفلكلور الفلاحي والتراث الشعبي لمعظم مناطق الريف السوري التي لا تزال تحافظ على هذه الصناعة التي توارثتها الأجيال المتعاقبة.

أعطيت حرفة القش وصناعتها أهمية مضاعفة لكونها تعتمد على المواد الأولية الضرورية التي توفرها البيئة المحلية، وأهمها القش المنتشر في المناطق جميعها، حيث يتوفر القمح والشعير وأنواع مختلفة من النباتات التي تنمو على الأنهار، ويمكن استعمال سيقانها كثيراً في سورية، ولكن استعمال الحصادات الآلية لحصاد القمح الذي أدى إلى شح المادة الأولية الأساسية.

وتشمل هذه الصناعة منتجات متنوعة: كأطباق القش التي تستعمل للطعام، والمنسفة التي تستعمل للخبز، والقبعة، وهي لنقل الحبوب، وتستعمل أدوات صغيرة لجمع البيض، وتستعمل الأطباق المزخرفة التي توضع في صدر المنازل، والسلال والققف ذات الألوان الزاهية والنقوش الجميلة.

استعمل الإنسان القش والقصب منذ القديم لصناعة أدواته، ولحمل الأشياء ونقلها وحفظها، فالحاجة دفعته لابتكار السلال والققف والأطباق لاستعماله المنزلية، وتدل اللقى الأثرية وبقايا القشيات المصنوعة قديماً على أن الإنسان استعمل القش والقصب وأنواعاً أخرى من الألياف النباتية المتوفرة في بيئته لصنع أدواته، كما استعملها في التعبير عن حسه الجمالي وذوقه الفني بابتكار الرسوم وإدخال الألوان التشكيلية على الأطباق والحصر واللوحات القشية.

واستمرت هذه الحرفة حتى وقت قريب في تلبية احتياجات الإنسان، إذ أنها مصنوعة من مواد طبيعية تلائم الصحة، وتقاوم الحرارة والبرودة، وتسمح بتهوية الأطعمة المحفوظة فيها التي تدوم وقتاً طويلاً جداً، فقد جرى الاعتناء بها جيداً، وتجفيفها بعد كل استعمال.

وبسبب الحاجة اليومية لمصنوعات القش في السنوات الماضية، غدت في كل بيت تنتقل من جيل إلى جيل، ففي السابق كانت النساء تحاول إبراز براعتن بهذه الحرفة، ويتسابقن



للتباهي بها، والتنافس بسرعة إنجازها وإتقان العمل ودقته وجماله وصنع أفضل الأطباق وأجملها من خلال الرسوم الجديدة والأشكال المميزة المرسومة التي تدخل في الأطباق.

وقديماً كانوا يضعون في الحسبان في أثناء خطبة الفتاة أن تكون ماهرة في صنع أطباق القش. وكانت هذه الصناعة طقساً من الطقوس الاجتماعية، وما زالت رائدة إلى وقتنا الحاضر.

وهناك من يحب المحافظة على علاقته بالماضي، فقد أولى الناس هذه الحرفة اهتماماً خاصاً عبر العصور لأنها ترتبط بتاريخنا وذكرياتنا من الزمن الجميل الشعبي الفلاحي، لذلك نجدها معروضة في الأسواق الشعبية والمتاحف التقليدية والتراثية والكرنفالات والاحتفالات وفي محلات المتحف القديمة اليدوية محافظاً على أصالتها ومكانتها وموروثنا الشعبي وهويتنا العربية الأصيلة ذات الطابع الجمالي، وأصبحت رمزاً لتراثنا الثقافي الجميل، إذ تتمتع أطباق القش والسلال بأشكالها المختلفة، بجاذبية خاصة تبرز بالحنين للعودة إلى الطبيعة.

ويلاحظ أن معظم البيوت الحديثة تفتني على الأقل قطعة من القش تتفاخر بها جزءاً من ديكور لتجميل المنزل، وثمة الكثير من الناس يقتنون كثيراً من أطباق القش الجميلة والملونة ذات الرسوم المميزة، وهذا ما يشجع على العودة إلى العمل به من جهة، وعلى تطويره من جهة أخرى. لذلك لا أعتقد أن هذه الصناعة يمكن أن تنسى أو أن تهدد بالنسيان، لأن أشخاصاً كثيرين مولعون بهذه الصناعة، يحبونها ويحاولون الحفاظ عليها، لكونها من التراث الجميل، وتعد من الهدايا المقربة للقلوب والمحبة للناس لجمال منظرها الذي ما زالت العين تعشق رؤيته.

وجذور مهنة القش قديمة، فهي مهنة متوارثة وعريقة تختلف عن غيرها بأنها غير محصورة بعائلاً أو أشخاص، أو طبقات اجتماعية معينة، فممارستها تتعلق بالهواية والمزاج ورغبة السيدة في تعلمها وممارستها، فمن الممكن لأي امرأة أن تتعلمها من دون معلم أو مرشد، لأنها حرفة بسيطة تعتمد على المهارة الشخصية، وتستعمل فيها أدوات بسيطة. وهذه الحرفة خاصة بالنساء، إذ نادراً ما نجد رجلاً يعمل بها، وتعتمد هذه المهنة أيضاً على الذوق والفن والصبر، وهي تتناسب مع طبيعة النساء.



العناصر المادية المرتبطة بصناعة القش:

1- المواد الأولية الأساسية: اعتمدت صناعة أطباق القش وأدواته المختلفة على عدة مواد أولية:

- القش الطبيعي: يتكون من سويقات "عيدان" القمح، ويعد مادة أساسية ويفضل العمل به، إذ تعتمد صناعة القش في سورية على سوق أو عيدان القمح بالدرجة الأولى. هذه المادة النباتية البسيطة يجري إنتاجها بعد الحصاد بالطريقة اليدوي، أي: المنجل. ويستعمل القش من بعض النباتات البرية: كنبات "السعد" الذي ينمو على المستنقعات في مناطق جبل الشيخ، أو نبات قصب البريار الذي ينمو على ضفاف الأنهار في حمص و غوطة دمشق والجزيرة السورية، أو نبات السنبيلة الذي ينمو في المناطق الساحلية. ويستعمل القصل البري، وهو ساق نبات المكاس لحشوة الطبق أو الفقة، بحيث يلف عليه القش، فضلاً عن قش الشعير والذرة، وقشور الخيزران، والصباغ.
- القش الصناعي: على الرغم من تراثية صناعة القش ومشتقاتها، اقتحم البلاستيك عالمها، وقدم لها قشاً صناعياً ملوناً وسهل الاستعمال، فمنذ سنوات بدأ يظهر في السوق العيدان الصناعية البلاستيكية الملونة "القش البلاستيكي"، وهو ذو ألوان متعددة جداً، والعمل به أكثر سهولة من استعمال القش الطبيعي، لأنه أكثر ليونة، لكنها ليست جيدة كالعيدان التي نجتمعها من سنايل القمح. وكانت بعض النساء تستعمل خيطان البلاستيك الملونة حتى تعطي شكلاً للصينية أو تحصل على الرسم الذي ترغب فيه. ورغم ظهور القش الصناعي مازال الكثيرون يفضلون قش القمح الطبيعي، لأنه صحي أكثر ورائحته أفضل، وطريقة صناعته هي المفضلة لديهم. وهناك من يفضل العمل به بسبب ألوانه المميزة. وهو منتشر الآن بكثرة بسبب المعامل البلاستيكية التي تنتج بسرعة، ولندرة القش الطبيعي. ويمكن أيضاً الاستفادة من الحصر المهترئة بإعادة تدويرها مرة أخرى.



2- الأدوات المستعملة لصناعة القش: يستعمل في مهنة صناعة القش أدوات عديدة بسيطة جداً، مثل:

- المقص: لتشذيب رؤوس القش.
- المخلة: تشبه المسمار، لكنها أكبر حجماً منه، تستعمل لتثبيت القش، وربطه ببعضه ببعض.
- المسلة: وهي إبرة كبيرة الحجم يصل طولها إلى عشرة سنتيمترات.
- القطفة: وهي سكين كبيرة، وحادة تستعمل لقص القصص.
- المخرز: يعد الأداة الأساسية في تصنيع القش وهو أداة حادة مدببة بطول يتراوح ما بين 7 و 10 سم، ويستعمل في تقب أعواد القش وتثبيتها. ومن هذه الأدوات نلاحظ أن هذه الصناعة يدوية بامتياز.

استعمالات الأدوات المصنوعة من القش:

إن حاجة الإنسان إلى أدوات مصنوعة من القش بالأشكال والأحجام المختلفة كثيرة، منها:

1- تستعمل الأطباق في المطبخ لنقل الطعام وحفظه، ولوضعها تحت الأوعية الساخنة، ولتقديم وجبات الطعام الرئيسية فقط: وهي الفطور والغداء والعشاء، فللطعام نكهة مختلفة عندما يوضع على أطباق القش، فضلاً عن الاستعمالات المنزلية الأخرى، ويسمى "طبق المائدة" ويبلغ قطره متر تقريباً، وما تزال الأسر في الأرياف تستعمله لوضع أطباق الطعام عليه، يوضع على الأرض، وتتعلق حوله الأسر لتناول الطعام. وعادة تستعمل الأطباق الكبيرة الملونة لتقديم الطعام عليها للضيوف أو في المناسبات، أما في الأطباق الصغيرة غير الملونة "الصواني" فتستعمل في البيت لتقديم الفاكهة والبذور (البزورات).

2- تستعمل الأطباق لوضع خبز الصاج عليها بعد خبزه، وهي عملية صحية جداً، لأن الأطباق المصنوعة من القش الطبيعي لا تتأثر بحرارة الخبز الطازج، ولا تؤثر فيه، كما تستعمل لنسف الفريكة على الطبق، وغطاء للأواني.



3- تستعمل أطباق القش وأوانيتها لنقل المنتوجات الزراعية في الحقول "غلة الأرض" في موسم قطف الزيتون أو موسم الحصاد، إذ كان طبق القش ينتقل من البيت إلى الأرض الزراعية، محمولاً فوق رأس المرأة الريفية.

4- تستعمل الأطباق والسلال لقطاف التين والعنب وبعض الفواكه الأخرى، ولذا تصنع قبل موسم القطاف، كما يرغب في استعمال السلال خاصة لحمل الحبوب، كالقمح، والحمص، والعدس، أو تخزينها وتصويل "غسيل" بذور القمح.

5- تستعمل لأغراض الزينة، فضلاً عن عرض المنتجات الغذائية في المحال.

6- هناك أدوات مصنوعة لخدمة السيدات كسلة أدوات الخياطة، وسلة ديارة الأطفال، وسلة أدوات الزينة والحلي.

7- هناك أدوات مرتبطة بالعادات والأفراح، ففي الأعراس مثلاً كان الطعام الشعبي يقدم على أطباق القش حصراً، كما كانت النساء يتبارين لعرض ما عندها من أطباق.

طريقة صناعة القش: تحتاج هذه الصناعة إلى وقت طويل وانتباه عال، فقد كانت النساء ينتظرن موسم حصاد القمح كل عام بفارغ الصبر ليبدأن بجمع سنابل القمح والشوفان وممارسة حرفتهن التي اكتسبنها وورثتها من أمهاتهن وجداتهن في صناعة الأطباق والصواني وسلال القش وغيرها من الأشكال الأخرى التي تصنع من القش، فأصبحت هذه الصناعة من هوايتهن المفضلة في أوقات الفراغ الطويلة التي يقضينها في مازلهن بعد أن يكبر أبناؤهن، وينصرفوا للاهتمام بشؤونهم الخاصة. وصناعة القش على مرحلتين:

المرحلة الأولى: تبدأ هذه المرحلة في الصيف، حيث تجتمع النساء والفتيات في نهاية كل موسم حصاد على البيادر أو أرض الحصاد، وهو ما يعرف بحقل القمح، حيث تجمع أكوام المحصول، وتبدأ النساء بجمع سيقان "سنابل" القمح الجيدة والقوية وترتيبها بعد فصل الورق والسنابل عن العيدان لكونها قوية ومرنة ومتوفرة بكثرة خلال أيام الحصاد، واختيار الجزء الأنسب والأمثل لصناعة لوحة فنية، مزخرفة وذات ألوان تدخل الفرحة والبهجة للقلب، حيث تأخذ المرأة الريفية السنابل التي تراها مناسبة لصنع الأطباق. ويكون الجزء المناسب من أسفل السنبلة إلى العقدة الأولى في الساق الذي يتميز بالطول والرفع (الدقة). وعادة ما يكون طول هذا الجزء ما بين 35-40 سم، ثم تفصل رؤوس السنابل عن الساق،



وتتزع عنها الأغلفة التي تبطن الساق، فتكون عيدان القمح هي المخلفات المهمة من المحصول المخصص للطعام، ولكن تكون الاستفادة منها بصنع أدوات مفيدة من القش يحتاج إليها البيت دائماً، إذ تجمع المرأة هذه الأجزاء وتخزن وتربط على شكل حزم، وتعلقها إلى حين بدء فصل الشتاء للعمل بها. وتستمر المرأة بهذه العملية حتى تجمع ما يكفي حاجتها إلى ما ترغب في صناعته. وإلى جانب هذا النوع من القش تحتفظ المرأة بكمية من القش الخالي من السنابل، ولكن دون تهذيب، لاستعماله في الصناعة أيضاً، وهو ما يطلق عليه "الحشوة".

المرحلة الثانية : تبدأ المرحلة الثانية من التصنيع بإعداد هذه المواد من أجل بدء التصنيع، وذلك بإحضار القش المناسب لهذه الصناعة، وتنظيفه في مغاسل واسعة ببطء، ثم يفرز، ونزال عنه بقايا الحصاد، ثم تجري عليه عملية الصبغ والتلوين لجعلها أدوات جميلة، ثم تترك المنتوجات لتجف تحت أشعة الشمس، ومن ثم تبدأ عملية رسم الأشكال الهندسية عليها.

1- **أطباق القش "الصواني":** صناعة أطباق القش من الحرف اليدوية القديمة التي أوشكت أن تندثر، ولا يقوم بعملها إلا القليل من النساء بسبب قلة الطلب عليها، ويطلق عليها الصواني مفرداً صينية، وتحتوي على أشكال وألوان وأحجام.

2- **صناعة السلال :** هي من الصناعات الشعبية المتوارثة عبر الأجيال، وهي عملية نسج يدوي أو حياكة لمادة طبيعية تشكل سلة أو مزهرية أو أشكال أخرى متقاربة. والسلال أوعية للنقل بأحجام مختلفة يصل الحجم الكبير منها إلى سعة عشرين كيلو غراماً، ويسمى "السل" وأما الصغيرة فلا تتجاوز سعتها الكيلو غرام الواحد. ولها أشكال مختلفة منها المتطاوّل العمودي، ومنها الدائري الملتف. ولكل سلة يد تتلائم مع حجمها وشكلها. أما ألوانها فهي تتراوح بدرجات الألوان الصحراوية من الذهبي الفاتح إلى البني الفاتح، وتستعمل السلال لأغراض شتى، إذ لا غنى للفلاح عنها لنقل الخضار والفاكهة والمنقولات من الحقل إلى البيت أو السوق، ونقل وجبات الطعام التي يتناولها في أثناء العمل في الحقل. تصنع السلال من القش السميك أو من قشور الخيزران أو القصب أو بحسب العنصر الطبيعي المتوفر في البيئة المحيطة بطريقة فنية جميلة فيكون منها أوعية جميلة متسعة وصحية في استعمالها لنقل الفاكهة والخضار.



3- كراسي القش : يشتهر بها البيت الدمشقي، وهي معروفة في دمشق منذ 600 عام، فمنذ بضعة عقود من الزمن كانت الكراسي المصنوعة التي تعتمد بصناعتها على القش والخشب، وهما المادتان الأساسيتان في صناعتها اليدوية، وهي في كل بيت دمشقي، وتعد من أساسياته، وقد كانت إلى جانب بحرة باحة البيت وداخل الغرف، فضلاً عن انتشارها في الدكاكين والمقاهي. ولكن الأمور قد تغيرت عندما غزت الكراسي الرخيصة المصنوعة من البلاستيك والمعدن السوق المحلي، ولكن حالياً عادت تلك الكراسي إلى البيوت بعد مضي سنوات على نسيانها، وهو ما جعل الورشات التي تعمل في مجال صناعة الكراسي الخشبية مع القش أو الخيزران تعيد نشاطها وتسترجع مجدها في البيع. وتتركز تلك الورشات في باب الجابية والقنوات خاصة. فبعد إحضار القش الناتج عن القمح بعد حصاده، يبلل بالماء نحو أربع أو خمس ساعات، ثم يغطى بقطعة من الخيش المبلول، ثم يعمل على تمشيطة بمشط خاص، لأن القش عريض، والمشط عبارة عن قطعة خشبية فيها مجموعة مسامير على شكل مشط الشعر لتقطيعه، حتى يصبح كشعر البنات، ثم يجدل، ويشكل على الكرسي، وتتوزع الأنواع المصنوعة منه ما بين الكنية وكرسي السفرة وكرسي الاستعمال الخارجي أو الداخلي. وصناعة الكرسي الواحد تحتاج إلى وقت قد يصل إلى يوم كامل. بعد مرحلة تجميع القش التي تستغرق أيام متتالية.

4- المكائس : تصنع من القش، ومن الحرف الممنشرة، وتستعمل المكنسة أداة منزلية مفيدة في التخلص من الغبار والأوساخ. وتصنع المقشبات من مشدات خشبية يجمع القش بينها على شكل مثلث تقرب قاعدته من 60 سم، ويثبت في إحدى زواياه مقبض متين من القش نفسه، ثم يعتمد إلى ربط ذلك الشكل وخياطته بخيوط قوية ليأخذ شكل المقشة، وهناك نوعان من المكائس: الناعم والخشن، وكلها أدوات تستعمل للتنظيف المنزلي.

5- المهفة "مرآة المكحل": هي نوع من الأطباق، ولكن بحجم صغير، إذ يبلغ قطرها ما بين 20-22 سم، ويثبت في الدور الأخير منها خيوط من الصوف بطول 5-6 سم، لتساعد على تحريك الهواء عند استعمال المهفة لهذه الغاية. وكثيراً ما تثبت في وسط



المهفة مرآة صغيرة قطرها نحو 7 سم، تستعملها النساء عادة عندما تكتحل أو تنزّين، وكانت تصنع عادة للعرانس. وتجتهد المرأة في تلوين المهفة بألوان عديدة.

6- القبة : هي وعاء من القش يستعمل لحفظ الأدوات المنزلية الصغيرة، مثل أدوات زينة المرأة، ونقل المحاصيل أو أي مواد أخرى. وتصنع من القش الخالص، وبالطريقة التي يصنع الطبق بها، وعندما تصل إلى الحجم المناسب تعمل المرأة على تشكيل حافة جدار دائري لها، وتستمر ببناء الحافة الجدارية من القش حتى تصل إلى ارتفاع مناسب على شكل سلة كبيرة، ثم يختم دور النهاية كما يختم طبق القش. وغالباً ما يكون قطر القبة 25 سم تقريباً، وارتفاعها ما بين 10-20 سم. وأكثر القبعات تصنع ملونة ومزخرفة.

7- الجونة : تصنع بطريقة صنع القبة نفسها، ولكنها تمتاز بكون حجمها، وتنسج لنحو 30-40 كغ من القمح. وأكثر الجون نعمل المرأة إلى إحاطتها من الخارج بجلد الماعز أو البقر، حفاظاً عليها من التلف، وكي تخدم أطول مدة زمنية ممكنة. وتستعمل لحفظ الزيتون والحبوب.

8- الترويج : طبق قش يستعمل مكيالاً للدقيق، يحمل فيه الدقيق المستعمل عند عملية إعداد الخبز في الطابون، وهو بمواصفات القبة نفسها، ولكنه بحجم صغير، إذ يبلغ قطره 15 سم تقريباً، وارتفاع جداره 7-10 سم.

9- القوطة: نوع آخر من طبق القش محاط بجدار. تصنع القوطة من القش الملون بطريقة تشبه إلى حد ما صناعة القبة، ولكن بفارق بسيط، إذ يكون ارتفاع الجدار عادة أكثر من قطر القوطة، ويصنع الجدار بشكل شبه كروي في الثلثين الأول والثاني من الجدار، ثم يبدأ الجدار بالانحناء إلى الداخل ليشكل باب القوطة بحجم قد يصل إلى نصف طول قطر القوطة. ومن النساء من تجعل لها علاقة تصل في منتصفها إلى 10 سم ارتفاعاً من باب القوطة. وللقوطة استعمالات عديدة، أهمها: حفظ المواد الغذائية الخاصة كاللوز والفسق والحلوى الجافة واليقطين والزبيب وغيرها.



10- **المعلاط:** يصنع المعلاط من القش، ومن فروع الزيتون الرفيعة الخضراء الطرية، ومعلاط القش صغيراً نسبياً، ويستعمل لجمع ثمار التين أو بيض الدجاج وغيره، ويكون على شكل القبة، لكن جداره أقل ارتفاعاً، وله علاقة كبيرة من تلك التي تصنع للقوطة.

11- **المرجوفة:** هي وعاء من القش لها شكل الجرة، وتستعمل لحفظ العنب المجفف "الزبيب" والتين المجفف.

12- **المنسفة:** هي طبق دائري يستعمل لحفظ الخبز وتحضير العجين.

13- **الفرش:** هو طبق دائري مسطح تقريباً، يتراوح قطره بين 70 و 100 سم، ويستعمل لوضع أواني الطعام عليه عند تناول الطعام، أي: يكون بديلاً عن الطاولة.

14- **القفة:** طبق دائري مرتفع الحواف، قطرها عريض يستعمل لوضع القمح وتجفيفه به، كما يستعمل لنقل الفاكهة والخضار من الحقل.

15- **الكبك:** هو طبق مقعر أشبه بالقبة يعلق من أسفله بحبل في سقف المطبخ، وينزل عند الحاجة، لتغطية الطعام وحفظه من الحشرات والقوارض.

16- **القفورة:** هي وعاء عميق تضيق فتحة في الأعلى قليلاً عن قاعدته، وله أحجام متعددة، ويستعمل لحفظ بعض الأطعمة الجافة كالزبيب والتين واللوز، وتستعمله المرأة لحفظ أدوات الخياطة من إبر وخيطان وأزرار.

17- **خزينة العروس:** هي طبق مخروطي كبير، قاعدته ضيقة، وفتحته واسعة، له غطاء مخروطي أيضاً، تستعمله العروس لحفظ جهازها، إذ تتطلب عرائس اليوم القش بأشكال مختلفة، من أجل أخذه مع "جهاز العروس" على أنه لون من العادات والتقاليد التي مازالت متأصلة في القرى والأرياف المحافظة على الطقوس القديمة في مراسم الزفاف، إذ تتطلب تلك العرائس نقوشاً مختلفة ورسوماً معينة، أو قد تنقش عليها أسماء معينة.

18- **الجهلمات:** هي أطباق صغيرة، حوافها عالية توضع فيها الفواكه والحبوب.

19- **الكواير:** مفردتها "كؤارة" وهي مصنوعة من القش والتراب، لمقاومة عمل الطبيعة من حرارة وبرودة، وكانت تستعمل أوعية كبيرة لحفظ الحبوب. لقد دخلت



هذه الحرفة (صناعة القش) معارض المهن اليدوية التي أقيمت في الخارج، وقد لاقت إقبالا كبيرا من الأجانب والعرب اللذين عبروا عن انبهارهم بمهارة وجمالية صنع الأطباق وسلال القش التي وصفوها بلوحة فنية، واقتنوا بعضها ليعلقوها على جدران أبهاء (صالونات) بيوتهم، وثنوا عمل السيدة الريفية السورية التي أبدعت في هذه الحرفة التراثية.

أسباب تراجع حرفة صناعة القش:

في الآونة الأخيرة تراجعت مهنة أو حرفة صناعة القش كثيراً، وهناك أسباب عديدة أسهمت بانحسارها، منها:

- 1- انحسار زراعة القمح التي تعد أساس هذه الحرفة، لأنها قائمة على سيقان القمح.
- 2- ظهور أدوات جديدة، واعتماد المزارعين في حصاد القمح ودرسه على آلات الحصاد التي تنزع الحبوب، فلا تغدو السنابل صالحة لصناعة القش.
- 3- أسهمت الحداثة في انحسار هذه الحرفة حين جرى إدخال الخيط البلاستيكي الملون، بدلاً من سيقان القمح "القش" التي تحتاج إلى تقشير ونقع بالمياه وصبغ قبل الاستعمال، فقد كانت بعض النساء اللواتي يعملن في هذه الحرفة يضعن الخيوط الملونة في الأنية القشية مع سيقان القمح، لإضفاء زخرفة تزين الطبق خاصة من خلال الرسوم والتصميمات المختارة.
- 4- الحداثة قضت بإحلال بعض الأجهزة الحديثة في البيت محل الأواني والأطباق القشية، مثل: الثلاجة، والخزانة "النملية" والجونة التي كانت تستعمل لحفظ الفواكه والخضار، والبيوت مثلاً انصرفت عن إنتاج خبزها بداخلها، ومن ثم فقدت المنسفة دورها في حفظ الخبز.
- 5- إن تغيير نمط الحياة وضعف المردود المادي فضلاً عن منافسة المنتجات الحديثة، أدى هذا كله إلى تراجع رغبة الفتيات بتعليم الحرفة، ومن ثم تناقص عدد الخبيرات بها، وضعفت اليد العاملة. هذا وإن الجيل الجديد من الصبايا لم يعد لهن ارتباط



بالأرض، وهن لا يبدین اهتماماً بهذه الحرفة. ثم إن بعد الجميع عن التراث بسبب غزو الحداثة لهم، وعدم وجود جهات تحافظ على التراث، وتدريب الجيل الجديد على إتقان مثل هذه الحرف لإحيائها مجدداً، أسهم ذلك كله في انحسار صناعة القش.



